أفاق فكرية
الرثاء في الشعر المغربي الحديث: موضوعاته الكبرى
ص . ص 348 - 395
رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
البريد الالكتروني:
abdlbastejlili@gmail.com

الرثـاء في الشعر المغربي الحديث: مـوضـوعـاتـه الكـبرى

- **عبد الباسط اجليلي.**
- **جامعة سيدي محمد بن عبد الله فاس - المغرب-** abdlbastejlili@gmail.com

تاريخ الارسال : 2018/02/20 **تاريخ القبول:** 2018/04/29 **تاريخ النشر :** 2018/10/04

الملخص : نهدف من خلال هذا العمل إلى تسليط الضوء على جانب من إبداع الشاعر المغربي إبان الحقبة الممتدة بين منتصف القرن التاسع عشر إلى حدود النصف الأول من القرن العشرين، وقد إرتأينا أن تكون دراستنا لشعر الرثاء، باستعراض موضوعاته الكبرى (رثاء الأشخاص وما يدخل تحته : "رثاء الأهل والأقارب_ رثاء العلماء والأشياخ_ رثاء السلاطين ورجال الدولة")، ثم (رثاء الأماكن وما يدخل تحته :" رثاء الثغور المغربية_ رثاء الثغور العربية")، وقد حاولنا في كل هذا رصد ما يمكن أن يخلفه موت شخص، أواحتلال مدينة من حزن ولوعة في نفس الشاعر، ومدى قدرة هذا الأخير على نقل إحساس الفقد إلى المتلقي وإشراكه في تفاصيل تجربته، مع إثارة قضية الصدق العاطفي ودرجة حضورها في المرثاة، سيما وأن هذا الغرض غالبا ما يقترن بنغمة التهويل والتضخيم حسب سياق الرثاء وطبيعة المرثي

الكلمات المفتاحية : الرثاء؛ الشعر؛ المغربي؛ الحديث؛ عبد الباسط اجليلي

Lamentation dans la poésie marocaine moderne: ses grands thèmes

Resumé: Notre objectif à travers cette étude vise à mettre l 'accent sur un aspect de la création du poète marocain,durant la période qui s'étale entre la moitié du 19ème siècle et la première moitié du 20ème siècle. On a opté pour l' étude de la poésie de « l' eloge »,en exposant ses multiples et grands sujets abordés(l'eloge des personnes, voire les proches, les savants, les cheikhs, l'eloge des rois et des hommes d'etat). Ensuite l'eloge des lieux et tous se qui se rapporter à elle(les villes marocaines, et les pays arabes). On a essayé de voir les effets de la mort d'une personne ou l'occupation d'une ville sur l'état d'ame d'un poète, le poète ainsi transmet ses sentiments de la perte au recepteur et l'implique dans les détails de souffrance. En mettant l'accent sur l'aspect affectif et sa présence dans le poème, surtout que cet aspect est souvent lieé à l'exagération et l'amplification selon le contexte de l'eloge et la nature de la personne élogé.

Mots clés: Lamentation; Poésie; Marocaine; Moderne; Abdul Basset Ajili

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
البريد الالكتروني:
abdlbastejlili@gmail.com

على سبيل البدء:

البيئة المغربية أيام العلويين وأثرها في ازدهار الإبداع الشعري:[1]

لقد بدأت الأخطار تحدق بالمغرب وتهدد أمنه وآستقراره بعدما احتل الفرنسيون الجزائر سنة 1833م، ليجد السلطان مولاي عبد الرحمن(1822م- 1859م) نفسه أمام تحد كبير، ألزمه الإنخراط في دعم المقاومة الجزائرية والوقوف إلى جانب الأمير عبد القادر في حربه ضد الإستعمار، وهو الأمر الذي أثار حفيظة فرنسا وحملها على توجيه ضربة قوية إلى المغرب بدعوى تدخله في دائرة نفوذها الإستعماري. ومن جهة أخرى كان لهزيمة المغرب أمام إسبانيا في معركة إيسلي دور كبير في الكشف عن حجم الضعف ومواطن الخلل في صفوف الجيش المغربي، وهو الأمر الذي ستستغله القوات الإسبانية لبسط نفوذها فوق تراب المملكة من جهتها الشمالية، ولتعلن حربا انتهت بهزيمة المغرب وآحتلال إسبانيا لمدينة تطوان في 6 فبراير 1860 م.

وتحت تأثير الضغوط الداخلية والخارجية، أجبر المغرب على توقيع الصلح مع إسبانيا في 26 أبريل1860م تفاديا لمزيد من الخسائر والهزائم. وما زاد الطين بلة هو مشكل الحماية القنصلية الذي شكل خطرا حقيقيا ساهم إلى حد كبير في تقليص سيادة المخزن وتفكيك بنيات المجتمع المغربي، وخرق النظام المالي للدولة. وقد حاول كل من السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن والسلطان المولى الحسن وضع حد لذلك، لكن محاولاتهما باءت بالفشل بعد تمسك فرنسا وبلجيكا وإيطاليا وبريطانيا بالإمتيازات التي تخولها لها معاهداتها مع المغرب، فكان مؤتمر الجزيرة الخضراء المنعقد بمدريد سنة 1880م، خطوة أخرى لفرض مزيد من الضغوط ولتحقيق مزيد من الإمتيازات والمكاسب، والأهم من ذلك تأزيم أوضاع المغرب واستنزاف خيراته وثرواته.

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
البريد الالكتروني:
abdlbastejlili@gmail.com

ولم تكن الأوضاع أحسن حالا مع إطلالة القرن العشرين، بل تفاقمت من سيئ إلى أسوإ، حيث اتسمت الفترتان؛ العزيزية والحفيظية، ببلوغ تلك الأزمات أوجها وذروتها رغم الإصلاحات التى قام بها المغرب وقتئذ. وتحت تأثير توالي الضغوط على المولى عبد العزيز، آضطر هذا الأخير للمصادقة على قرارات مؤتمر الجزيرة الخضراء في 28 يونيو1906م، وهو الأمر الذي سيفضي إلى توتر العلاقة بين القصر والشعب، لتتعالى بعد ذلك أصوات علماء فاس بوجوب عزل المولى عبد العزيز ومبايعة السلطان المولى عبد الحفيظ في 16 غشت 1908م، وقد حاول هذا الأخير إخماد جانب من نيران الفوضى والإضطراب، غير أن محاولاته في إصلاح الأوضاع لم تدم طويلا وسرعان ما ستدخل البلاد في أزمة اقتصادية وسياسية واجتماعية بفعل تكالب المستعمرين، فانتهى الأمر إلى فرض الحماية على السلطان المولى عبد الحفيظ في 30 مارس 1912م. في ظل هذه الإكراهات وفي خضم هذه الأجواء المتأرجحة بين مد وجزر، كان الأدب يبعث الأمل في الحياة كلما انقطعت خيوط الأمل وتبددت. وهكذا ستعرف الحركة الإبداعية شعرا ونثرا، انتعاشة كبرى سترسم معالم مسيرة حافلة بالعطاء والتميز.

بين هذا وذاك كان الشاعر العلوي حاضرا في قلب الحدث، معبرا عن الواقع، مسجلا أهم المحطات والأحداث، واصفا حالاته وانفعالاته النفسية والعاطفية، مجيدا القول في كل فنون الشعر وأغراضه من مدح وغزل ووصف...وكان الرثاء من بين الأغراض التي حضيت باهتمام الشعراء، فنظموا في ذلك قصائد مطولة عبرت عن مصابهم وصورت آلامهم وأحزانهم وتحدثت عن لواعجهم وأحاسيسهم المنكسرة المكلومة. وشعر الرثاء في العصر العلوي كما في كل العصور جاء في مستويات متعددة وطبقات مختلفة، إذ سنجد أنفسنا ونحن نتناول هذا اللون الشعري أمام نوعين من الرثاء:

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
البريد الالكتروني:
abdlbastejlili@gmail.com

أ – رثـاء الأشخـاص.

ب – رثاء المدن والثغور.

على أنه في رثاء الأشخاص سوف لن نعثر كثيرا على المرثيات التي قيلت في السلاطين والأمراء ورجالات الدولة، وذلك لقلتها قياسا إلى ما قيل في رثاء رجال العلم والأشياخ وما قيل أيضا في رثاء الأهل والأقارب، ربما لأن العلائق التي كانت تربط الشعراء بأشياخهم وبأقاربهم هي التي كانت تتحكم في هذا النوع من الرثاء دون غيره، ما جعله أكثر الأنواع ظهورا وتدوالا عند الشاعر المغربي قبل وأثناء الحقبة التى ستكون إطارا زمنيا لدراستنا.

المبحث الأول:(رثـاء الأشخاص)

❖ رثـاء الفقهاء والأشيـــاخ والعلماء والقضاة:

لقد كان حضور الشيخ والعالم في البيئة المغربية بارزا وفاعلا في توجيه سياسة الملوك والسلاطين في العصر العلوي وكانت مكانتهم عالية رفيعة المستوى لما كانوا يقومون به من دور فاعل في نشر العلم والتربية وتقويم السلوك وتصحيح المعتقد. لذلك كان فقدهم رزية كبرى وفاجعة عظيمة، تعكس عظمة قدرهم وسمو مكانتهم في نفوس الناس. وإلى ذلك أشار فضيلة الأستاذ الدكتور أحمد العراقي في قوله: "**وكان شعراؤنا كلما تخطف الموت أحدا من أشياخ العلم يسارعون إلى رثائه والتفجع لرحيله. إن موت العلماء في كل مصر وعصر يعتبر خسارة كبيرة للأمة، يتأسف لها الناس عموما، ويكثر الشعراء من الأقران والتلاميذ من التحسر على ذهابهم والتذكير بهول مصيبة فقدانهم، وذلك لأنهم ورثة الأنبياء وأنصار الدين وحماته وصفوة الأمة وخلاصة المفكرين فيها**"[(2)].

والرثاء في الشعر العلوي، جاء غزيرا في هذا الباب وغنيا بصور معبرة تنطق بحقيقة ما يكنه الشعراء من محبة واحترام وإخلاص لهذه النخبة من الناس، وفاء لمحبتهم وعرفانا

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
البريد الالكتروني:
abdlbastejlili@gmail.com

بفضلهم، فجاء متفاوتا من حيث حرارة العاطفة ودرجة التعبير وقوة الإحساس بالفاجعة. لقد رثى شعراؤنا الكثير ممن تخطَّفهم المنون على حين غرة ، فبكوه بدموع حرى وأحاسيس منكسرة متوجعة تحمل فيضا من العواطف الصادقة.

إن هول المصاب يدفع الشاعر أحيانا إلى أن يقدم نفسه فداء للفقيد لو كان يقبل الفداء، لكن هيهات أن يتحقق ذلك، ولعل هذا هو مكمن حزن الشاعر ولوعته، وإلى هذا المعنى يشير المهدي بن محمد الحجوي[3] في معرض رثائه للفقيه محمد السليماني الحسني[4] يقول: من(الطويل)[5]:

ولو كان عنه الموت يقبل فدية لألفى له من صحبه ألف مفتد

فمثله من تبكي عليه عيوننا ومثله من يفدى بكل مسود

وقد يكون رحيل أهل العلم مدعاة للعجز عن التعبير، من ذلك ما قاله الأديب محمد بن عبد الله الروداني من قصيدة يرثي فيها الفقيه القاضي سيدي موسى الروداني[6] ، معربا عن عجزه وحزنه إزاء ما حل به. يقول (الكامل)[7]:

يا راحلا عنا أما لك أوبة تشفي الصدور بها من الآلام

فالرزء فيك يكل عن تشخيصه لسن البليغ وفطنة الرسام

والصبر بعدك معوز والبث مبـ ـثوث ودمع العين في تسحام

وإذا بكى الموتى ذووا أرحامهم فجميعنا لك من ذوي الأرحام

ومنهم من بالغ في رصد معالم الفجيعة، من خلال التوسل بالتهويل والتضخيم، وما ذلك إلا مظهر من مظاهر شدة التعلق بمن قضى من العلماء، وفي ذلك يقول الفقيه عبد الأحد الكتاني[8] وهو يرثي المؤرخ محمد بوجندار الرباطي[9] (الكامل)[10]:

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
البريد الالكتروني:
abdlbastejlili@gmail.com

والجو أمسى فاقدا أقماره مسلفعا أطمار لون أسود

وأهلت الجوزاء تندب حظها لما رأت خسف الهلال الأصعد

والكون أقتم أظلم متعثر في ذيل بود صغاره المتهود

كيف السلو عن المصاب وهوله أم كيف أسلو والزمان معاندي

لهفي على ذاك الحمى وهضابه وعلى اللمى ورضاب ذا الغصن الندي

فلا التلهف ينفع ولا الدمع يغني ولا العويل يستطيع أن يرد أمرا كان مفعولا، وهذا ما يجعل الحسرة تنتاب الشاعر والألم يستحوذ على قلبه ومشاعره، فيعود ليأخذ في ندب الفقيد وبكائه، يقول[11]:

آه وهل ينفي التأوه حسرتي أويستفيق حشاشة القلب الصدي؟

آه وهل يطفي التأوه لوعتي وصبابتي يوم النوى وتسهدي؟

آه وهل يلفي التأوه راحمـــا أومنجدا لي عند فقد المنجد؟

آه وهل يلفي التأوه مسعـــدا ومساعدا لي عند فقـد المسعد؟

آه وهل يسلي التأوه كربتـي ويجيرني من هول ذا الخطـــب الردي؟

إن الموت مصيبة لا يستطاع الصبر إزاءها، فحتى وإن بكى الإنسان بدل الدمع دما، فإن ذلك لن يجدي شيئا، ولن يطفئ حرقة الفراق ومرارة الفقد، خاصة إذا كان الميت شيخا عالما عاملا جليلا. إن رحيله خسارة للعلم وللدين والعقيدة. إنه فاجعة ما بعدها فاجعة ورزء ما بعده رزء، ولقد أجاد شاعرنا في رثائه حين قال معبرا عن عميق حزنه وشديد ألمه لفراق شيخه الذي أحزن موته الجميع، فغدا الكل في مأتم عبوس يخلع على القصيدة ثوبا من الحزن وهالة من الشجن، يقول (الطويل)[12]:

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
البريد الالكتروني:
abdlbastejlili@gmail.com

خطب تروعت العقول لهوله والهول أمضى من فعال مهند

خطب له قد أرجفت كل القلـ ـوب وأحرقت بوقودها المتوقد

خطب كسا الأقوام ثوب كآبة وتأنب وتوجع وتجرد

خطب أنال الخافقين تحسرا والعدوتين[13] تفتتا في الأكبد

خطب أناخ على الرباط وأهله بكلاكل أوهت قوى المتأيد

وقد تتحطم آمال الشاعر وتعظم آلامه بموت شيخه، الذي آنهد برحيله ركن هام للعلم ودعامة قوية للحلم والكرم والأخلاق الفاضلة، وفي هذا يقول عبد الملك البلغيثي[14] راثيا والده العلامة أحمد البلغيثي[15] في أبيات يتحدث فيها بشيء غير قليل من الحزن واللوعة:(الطويل)[16].

وما كان يرضى أن يواجه جائرا غداة قضى بالعدل إذ كان قاضيا

وما كان ممن يجعل العلم آلة يصيد بها من كان ماله ناميا

وما كان ممن يوهم الناس أنه ولي ببحر الجود يعطي الأمانيا

وما كان ممن بالمعارف يـزدري ولكنه بالعلم كان مغاليا

وما كان ذا بخل ولكن جوده عظيم فما أبقى من المال باقيا

فمن لي ببحر في المعارف زاخر لنخرج منه جوهرا ولئاليا

ومن لي بشهم في الفنون مشارك يريك بيانا في المسائل شافيا

ومن لي ببحر في مسائل مالك يفيدك منها ما غدا عنك خافيا

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
البريد الالكتروني:
abdlbastejlili@gmail.com

ومثل هذا التكرار الذي يقع في صدور الأبيات- يقول مصطفى عبد الشافي الشوري- : **"يشكل ضربا من الولولة أوالندب المثير"**[17] ، حيث إن تكرار عبارة **"وما"** على مدار أبيات متتالية، تعكس في دلالتها فداحة الخطب، وتفيد أن من فقد، كان مثالا لكمال الأخلاق وسمو الفضائل. فما من شيء تسأل عنه أوحاجة تريد قضاءها إلا ووجدتها في شخصه، لذلك كان رحيله مثارا للبكاء، ومدعاة للعويل والنحيب. وكذلك ترد لفظة **"ومن"** التي تكررت بدورها للدلالة على هول المأساة التي خلفها موت الشيخ العالم من جهة، وكذلك للدلالة على حجم الفراغ الذي تركه برحيله عن هذه الدنيا من جهة ثانية، فكيف لا يبكي الشاعر شيخه وأباه، وكيف لا يأسف على فقده وهو الذي أزاح بعلمه عتمة الجهل وأنار للناس درب المعرفة؟ يقول: [18].

تجرعت كاسات الهموم بفقده وقد كنت عن ساحاتها متنائيا

وما كنت أدري الهم ماذا لأنني أراه فلا يبقى وحقك ما بيا

فقل لحسود عاش في الناس ميتا وقد كان للعليا نقيضا مساويا

"كفى بك داء ترى الموت شافيا وحسب المنايا أن يكن أمانيا"[19]

إنه تجسيد حي لموقف الحائر المهزوم، الذي لا يستطيع شيئا أمام جبروت الموت وقهره، إلا أن يلتمس من ربه للفقيد الرحمة والرضوان، ومقعد صدق بجوار الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام[20]:

أيا سيدا مأواه مقعد صادق لجنب رسول الله أضحى محاديا

سقاك إله العرش من رحماته وأولاك في جنات عدن أمانيا

وللصبر في رثاء المغاربة حضور لافت، فهم يوظفونه في إطار تعزية النفس والتخفيف من وطأة المصاب عليها، وهي عادة مارسها الشعراء في مراثيهم منذ القديم، وفي ذلك يقول

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
البريد الالكتروني:
abdlbastejlili@gmail.com

أبو الحسن المدائني[21]: **"كانت العرب في الجاهلية... يتحاضون على الصبر، ويعرفون فضله، ويعيرون بالجزع أهله... طلبا للمروءة، وفرارا من الإستكانة إلى حسن العزاء... قال أبو خراش الهذلي: (الطويل)**

تقول أراه بعد عروة لاهيا وذلك رزء لو علمت جليل

فلاتحسبي أني تناسيت عهده ولكن صبري يا أميم جميل "

فهذا الشاعر الطاهر بن محمد بن ابراهيم البكري، في رثائه للعالم محمد بن العربي اليعقوبي المتوفى سنة 1323ه يعرب عن حرقته في رحيل ذاك العالم، ويبكي من خلاله العلم والدين والفضيلة، ويدعو ذويه وأهله إلى التزود بالصبر مادام الموت هو المصير الحتمي الذي سيؤول إليه الجميع. يقول،(الطويل)[22]:

قضى المجد حزنا مذ قضى العالم الرضى وأظلم أفق الدين من بعد أن أضا

وصوح روض العلم وآنقض نجمه وولى رعيل المكرمات وقوضا

وفاضت دموع العلم إذ فاض ربه وأصلي الأسى أحشاءه جمرة الغضا

إلى أن يقول:

فصبرا بني يعقوب للحادث الذي ألم فأضنى كل قلب وأمرضا

فما الموت إلا مثل دين مرتب على كل حي والمغارم تقتضى

وقد لا يكون بإمكان الشاعر إخفاء التياعه وبرحائه إزاء الفقيد الراحل، فما وقع أذهله وأضعف صبره وحيلته، وحينها لا يجد سوى اللهفة عزاء ومسليا، وهو ما عبر عنه الفقيه أحمد سكيرج[23] في رثائه لشيخه الفاطمي بن محمد الشرادي[24] يقول:(الطويل)[25].

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
البريد الالكتروني:
abdlbastejlili@gmail.com

وكم من مصيبات تحملت رزءها وإن المصاب اليوم فيه مصائب

نعى البرق لي الفاطمي وليتني نعيت إليه وهو لي كان نادب

لقد كدت أن يغمى علي بنعيه فيا برق خبرني فهل أنت كاذب؟

إن تعبيره عن عاطفته يبدو قويا، وتأثره بموت شيخه بالغ الأثر بَيِّنُهُ، فقد كان الفقيد شعلة متوقدة لا يخبو نورها، وبحرا للعلوم زاخرا لا ينقضي عطاؤه، يقول:

فقد كان نفاعا بعلم وحكمة وكم قضيت للناس منه مطالب

فمن بعده للطالبين وكلهم به آنتفعوا إذ منه فاضت مشارب

وإن له باعا طويلا يمده فيدرك مما طال ما هو طالب

به رزئت في الناس أهل مدارس ومن لهم في نيل علم مآرب

إن هذه الأبيات تقربنا من شخصية الفقيد وتطلعنا على قدره وفضله ومكانته كعالم وشيخ سعى إلى نشر الدين وإرساء قواعد العلم. من هنا بدت خواتم معظم شعراء الرثاء نمطية إلى حد كبير، حيث يشتركون في اختتام مراثيهم بالدعاء للميت واستمطار شآبيب الرحمة والمغفرة والفوز بالجنة والنعيم الأبدي. ما يختلفون فيه فقط هو حجم هذه الخاتمة الذي قد يطول عند البعض وقد يقصر عند البعض الآخر، يقول أحمد سكيرج:(الطويل)[26]

عليه من المولى شئابيب رحمة لدى قبره تنهل منها السحائب

ومنهم من دعا لمن فقده من العلماء والأشياخ بالمغفرة وحسن الثواب، من ذلك ما رثى به الأديب عبد الله بن محمد ابن سودة[27] ، الفقيد محمد الهواري[28] والد الفقيه أحمد الهواري:(البسيط)[29]

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
البريد الالكتروني:
abdlbastejlili@gmail.com

يا رب يا عالم الأسرار من على عبد دعاك بما يرجو ويختار

وآغفر له ولكل المسلمين ومن يقول آمين حتى تمحي أوزار

رأينا كيف أن الشاعر في الرثاء يحضر في صور المتألم المعاني والمنكسر المفجوع، غير أنه داخل هذا الحزن قد يجد لنفسه مساحة تحضر فيها شخصيته المتفلسفة والمتأملة في حقيقة الموت، وذلك في رؤية تشبه إلى حد ما رؤية ابن الرومي في أشعاره. وقد طرق هذا الباب الشعراء المغاربة في العصر العلوي واعتبروه ضربا من ضروب التعبير عن رؤيتهم وتمثلهم للموت في أبعاد ومستويات أكثر عمقا. من ذلك ما قاله عبد السلام الزموري[30] وهو يرثي الفقيه الأديب والوزير الأريب المختار بن عبد الملك الجامعي[31] محذرا من غدر الزمان ومكره. يقول (الطويل)[32]:

هو الدهر إلا أنه طبعه الغدر وشيمته فيمن بغى الفتك والمكر

يسالم حتى لا تراه مخالفا ويضحك في وجه الفتى وهو مغتر

وتصفو له الدنيا ويدنو بعيدها مطاعا له يقتاده الخوف والذعر

وهكذا يكون رثاء طبقة العلماء والفقهاء والأشياخ عند شعرائنا، تعبيرا صادقا عن مشاعر الوفاء والإخلاص تجاههم ويكون هذا التعبير ضربا من الحزن والألم والإلتياع حينا، أو ضربا من البكاء والعويل واستذراف الدمع الغزير حينا آخر، أو ضربا من التأمل والتفكر في سخف الحياة وسخريتها أحيانا أخرى. على أن ما يجمع بين هذه المستويات الثلاث هو أن الشاعر مهما استعصى عليه الصبر، ومهما كان وقع الفاجعة عليه ثقيلا، نراه في النهاية يعود إلى إيمانه وهدوئه واقتناعه بأن الموت هو المصير الحتمي لكل حي.

ويستمر الشاعر المغربي في رسم معالم هذا اللون من رثاء العلماء النجباء والفقهاء الأجلاء والشعراء الأدباء، حتى حدود النصف الأول من القرن العشرين. ويحفظ لنا شعر

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
البريد الالكتروني:
abdlbastejlili@gmail.com

المرحلة الكثير من القصائد والمقطوعات التي قيلت بالمناسبة، والتي تعبر عن إحساس كبير وعاطفة صادقة تنم عن تفاني هؤلاء الشعراء في إخلاصهم ومحبتهم لأشياخهم وعلماء عصرهم حتى بعد وفاتهم. فهذا مؤرخ المملكة على عهده المرحوم محمد بوجندار يبكي الأديب الألمعي أحمد بن قاسم جسوس[33] في قصيدة تفيض صدقا وأسفا عميقا وأنينا داخليا لا يبرح يمزق أحشاء صاحبه. يقول مفتتحا مرثيته بمقطع تأملي في حقيقة الدنيا الخادعة (الوافر)[34]:

هي الدنيا بما تبكي تدين ... وتفعل ما يهول ولا يهون
فلا تغتر إذا تبدي ابتسامتها ... فكم جفت لمغتر جفون
وحسبك عبرة ما حل فينا ... ونحن بغفلة عما يكون
مصاب راعنا بوفاة شهم ... أصابته بأسهمها المنون
أبو العباس أحمد من تبدى ... كأنه في العلا طود رصين
قضى وقضى وخلفنا حيارى ... بهذا لوعة ولذا أنين
وألبسنا ثيابا من حداد ... فكل بعده باك حزين

ومن المراثي التي نقلت بصدق كبير معاني اللوعة والتحسر على رحيل فقيد المغرب العالم العلامة الشيخ الجليل أبي شعيب الدكالي[35] ، ما جادت به قريحة الشاعر محمد البلغيثي الفاسي[36] ، فلنستمع إليه وهو يبكي الراحل في صدق معبر وتعبير صادق. يقول (الخفيف)[37]:

مت والأرض لم تمل مثواك ... ليتني كنت يا شعيب فداكا
مت يا حافظ الشريعة فالديـ ... ـن يبكي ويندب حجاكا

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
البريد الالكتروني:
abdlbastejlili@gmail.com

مت حاشاك ما قضيت ولكن مات من لم يجد لديه عزاكا

إلى أن يقول:

ولموسى أزف دمعة قلبي ولإخوانه جميعا كذاكا

إن شعراءنا وهم يرثون أشياخ العلم، يلجأون أحيانا إلى التساؤل عن القرون الماضية وعن رجالها وأعلامها وعن أمجادها وعزتها، تخفيفا من وقع المصاب وآستخلاصا للدروس والعبر، إيمانا منهم بحتمية الفناء. ومن شعرهم في ذلك ما قاله الأديب محمد غريط[38] وهو يرثي الولي الصالح الشيخ محمد المحب الإسماعيلي[39] (الطويل): [40]

فأين الملوك الصيد أين عديدهم وأين القصور الشيم أين المواكب؟

وأين أباة الضيم أين آقتدارهم وأين بناة المجد أين المناصب؟

ومنه أيضا قول العربي السودي[41] متسائلا، (الكامل) [42]:

أين الفراعنة الطغاة وأين من شادوا وسادوا في الزمان الغابر

وفي سياق تفاعل الشاعر المغربي مع ما يجري خارج حدود المملكة، وجدناه في غير ما مرة يسخر إبداعه في مشاركة الأقطار العربية أحزانها وآلامها وعظيم مصائبها كلما فقدت علما بارزا من أعلام فكرها أو أدبها أو سياستها، ونسجل بارتياح كبير الحضور المتميز للشاعر المغربي في كل المحافل والمناسبات. وللشاعر عبد المجيد الفاسي[43] قصيدة يرثي فيها الأديب أحمد شوقي مبرزا مكانة الراحل الأدبية ودوره في إنعاش الحركة الإبداعية، معتبرا رحيله خسارة للأمة العربية داعيا أهل الكنانة إلى الصبر إزاء هذا المصاب الجلل. يقول (الوافر)[44]:

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
البريد الالكتروني:
abdlbastejlili@gmail.com

أحقا غاب بدر الشوقيات وغابت شمسها في المشرقات

وهل من كان بدرا مستنيرا يغيب عن العيون الناظرات؟

نعم شوقي أمير الشعر فينا تجرع مرغما كأس الممات

فما هاب الحمام شعور شوقي وروح الله في ذاك الرفاة

إلى أن يقول:

وأعطى صورة الإحساس شعرا ترق له قلوب الغانيات

ولوح للخيال بمكرمات تراعى في الشعوب الناهضات

وأنعش روح مجد واقتدار بآيات القريض المبدعات

وفيها يقول:

وأندب فقد روح قد تسامت بتهذيب العقول الناقصات

وألقي دمعة التأبين درسا إلى الشعراء في فقد الغزاة

بلاد النيل صبرا في مصاب أشد من الصخور النازلات

وبنفس الحرارة يبكي شاعرنا عبد المجيد أمير البيان شكيب أرسلان رحمه الله، فبموته فقد الإسلام خطيبا وشاعرا ومجاهدا ومناضلا أحبه كل الناس وتألموا لفقده ورحيله. يقول (الطويل)[45]:

إذا كان يرثى شاعر وخطيب فأجدر أن يرثى الأمير شكيب

لقد فقد الإسلام فيه خطيبه وشاعره إن أفجعته خطوب

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
البريد الالكتروني:
abdlbastejlili@gmail.com

لقد فقد الإسلام فيه مجاهدا عظيما وفيا ما اعتراه لغوب

لقد فقد الإسلام فيه مناضلا شديدا يقول الحق وهو غريب

لقد كان للإسلام ليس لنفسه إذا رن صوت المسلمين يجيب

إلى أن يقول:

يحبه كل المسلمين لأنه غيور عليهم مخلص ومجيب

تحبه أقطار العروبة كلها لأنه للعرب الكرام حبيب

وهذا شاعر الحمراء محمد بن ابراهيم المراكشي يرثي الشاعر المصري حافظ إبراهيم في ذكرى رحيله، معربا عن صدق مشاعره تجاه الفقيد (الخفيف)[46]:

قد سمعت الرثاء نظما ونثرا وطويل الأنين سرا وجهرا

غير أني أقول غير مبال عظم الله في الحقيقة أجرا

كان عهدي بشاعر القوم يطري قومه بالندى فيكسب فخرا

ثم عشنا حتى رأينا زمانا فيه بالجود منهم صار يطرى

أحرقوه وأسمعوه ثناء مثل عود البخور قد طاب نشرا

أكرموه حيا فأما وقد ما ت فعن فقده رزقتم صبرا

إنه يعاتب أولئك الأدباء الذين لم يخل شعرهم ونثرهم من إطراء للفقيد بالكرم والجود، وكان أحرى بهم أن يفعلوا ذلك وهو على قيد الحياة، أما وقد مات فلم يعد لهم سوى أن يصبروا على رحيله.

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
البريد الالكتروني:
abdlbastejlili@gmail.com

وفي مرثية كلها صدق ومحبة وتألم، يبكي الأديب إدريس الجاي بحرارة الأديب اللبناني نجيب الخزامي[47] في شعر رقيق رائق، معبرا عن شديد حزنه وعميق التياعه. يقول[48]:

أواه لو أجدى الغدا ... لأسترخص التياعك عمره

أو كان يبعثك البكاء ... لسال بالدم كل قطره

لكنهما حم القضاء ولا ... يرد العجز ثمره

امرح نجيب بعالم الأملا ... ك كم أحببت طهره

إنا هناك سنلتقي ... لنسبح الرحمن زمره

إن الشعر المغربي يحفل بمجموعة من المراثي التي قيلت في زمرة من رجالات مصر ولبنان وسورية وفلسطين، وهي كما أشار إلى ذلك محمد أديب السلاوي[49] ، ظاهرة طبعت شعر الرثاء في تلك المرحلة، وكلها تؤكد على ذلك التواصل الوجداني والتاريخي بين المشرق والمغرب منذ أقدم العصور.

هكذا رأينا كيف عبر الشاعر المغربي في العصر العلوي عن حزنه تجاه من فقدهم من الشيوخ والعلماء والفقهاء، ورأينا درجة ألمه عليهم وحرارة تفجعه على فقدهم، في شعر أغلبه تحسر وتأبين يفيض حرقة ويعبق صدقا وعاطفة صدرت عما كان يملأ قلبه من محبة وتقدير نحو أولئك الأشياخ. فكيف بكى أهله وأقاربه؟ وكيف عبر عن فقدهم ورحيلهم؟

❖ رثـــاء الأهل والأقـــارب:

لقد بكى الشاعر المغربي في العصر العلوي أهله وأقاربه بشعر يفيض صدقا ويتدفق ألما ولوعة، فمنهم من بكى ابنه ومنهم من بكى زوجته ومنهم من بكى أمه ومنهم من بكى

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
البريد الالكتروني:
abdlbastejlili@gmail.com

أباه. على أن ما يميز الرثاء في هذه الطبقات هو تفاوتها من حيث حرارة العاطفة، ومن حيث الحزن الناجم عن حجم الفراغ الذي خلفه الفقيد، فمن البداهة أن يكون الشاعر وهو يرثي أمه أعمق تعبيرا عن شدة حزنه وشديد أسفه من ذاك الذي يبكي أخا أو صديقا. ولنا أن نلمس ذلك بجلاء من خلال ما يوظفه الشاعر من عبارات وجمل وصور تعبر عن شحنة الألم التي تتفجر شعرا حزينا يترجم بصدق ما يعتصر أحشاء الشاعر من لواعج. ومن مراثيهم في ذويهم، ما قاله الشاعر عبد الملك البغيثي في رثاء والده أحمد البلغيثي، معربا عن نوبات الحسرة وزفرات الألم التي استحوذت على قلبه، باكيا إياه بدموع حرى وجفن لا يفتر(الطويل)[50]:

دهاني الذي ما مثله كان داهيا وقد كنت معمورا فأصبحت خاليا

دهاني وما غير الحمام أصابني وما أحد من غوله كان ناجيا

دهاني وما قولي دهاني بكاذب قد آختطفت عيني يداه وجاهيا

إلى أن يقول متسائلا في دهشة وحيرة:

فأين حديث كنت تبدي صحيحه فتبلغ أهل العلم منك الأمانيا

وأين أصول صلت فيها وما لها سواك أبا العباس في الناس داريا

مسالكها ضاقت على كل سالك ولا سيما من كان بالجهل ساريا

وأين الذي يدري الكلام وعلمه فيعرف في المقدور من كان قاضيا

إنها تساؤلات تعكس حجم الألم الناجم عن عمق الإصابة وقوتها.

وبنفس الحرارة، وبنفس الذهول يتساءل الشاعر عبد السلام بن محمد بن عبد السلام، وهو يرثي أباه الولي الصالح أبا عبد الله محمد المحب الإسماعلي، مستثمرا

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
البريد الالكتروني:
abdlbastejlili@gmail.com

المقدمة الطللية كمقطع وظيفي يحيل على الفناء والإندثار. ففقد الوالد حطم آماله وأجج نيران التياعه وبرحائه. يقول باكيا (الطويل)[51]:

سل الدار عن سكانها أين يمموا وأين ثووا بعد الرحيل وخيموا؟

إذا وردت ماء النعيم مطيهم فقد لفحت قلبي الكئيب جهنم

فعذري في جف المدامع واضح وأين يسيل الماء والنار تضرم

أتاني كتاب ناعيا بفراقهم فعاود نهاري داجيا فهو مظلم

إلى أن يقول معبرا عن مرارة الموت وشدة وطأتها على النفس، وإن كانت هي الحقيقة المرة التي لابد لكل مخلوق أن يشرب من كأسها:

هو الموت مر في المذاق وشربه على كل حال واجب متحتم

أرى الدنيا بحرا زاخرا وهو ساحل وبعض الورى غرقاه والبعض عوم

فلو كان كل ميت كمحمد لهان على الناس الذي هو أعظم

فياليتني لو كنت عند احتضاره أقبل ذاك الكف منه وألثم

ويا ليتني لو كنت عند محمد إذا ما هم صلوا عليه وسلموا

يبدو أن موت الأب كان مدعاة للحزن والأسى، فالخطب جلل والكرب عظيم، إذ كيف يطيق المرء الصبر على من كان كل شيء في حياته؟ إنها عملية تشبه انتزاع الروح من الجسد، فأنى لهذا الجسد أن يحيا من دون روح؟. هنا يتعاظم الموقف الإنفعالي للشاعر ويبلغ ذروته ليتماهى مع كم الحزن، وحجم الفراغ الذي تركه الأب برحيله. يقول الأديب العربي السودي مصورا حزنه، وعظيم مصيبته إزاء فقد أبيه الفقيه الطالب ابن سودة(الكامل) [52]:

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
البريد الالكتروني:
abdlbastejlili@gmail.com

لا زال يفجعـني بفقد أحبتـي حتى سطا بأبـي وحبة خاطـري

أنست رزيتـه الـرزايا قبلـها وأتت على صبري وأدمت ناظري

تركت فؤادي كالجحيم مسعـرا وحشـاي يحترق آحتـراق الكافر

نضجت دموعي فآستحالت عندما وجرت علـى خدي كسحب هامر

لولا التقى للطمته وشققت جيـ ـبي لابسا ثـوب الأسـى كتماضر

لقد عيل صبره وكاد لهول فجيعته أن يندب أباه على طريقة أهل الجاهلية من لطم الخدود وشق الجيوب، لولا إيمانه بحتمية القدر. هذا الموقف جعله يستدعي الخنساء آستدعاء وظيفيا لتعميق الإحساس بلوعة الفراق وحرقة الرحيل. وقد يختلف الأمر عند بعضهم حين نراهم يظهرون نوعا من الصبر والجلد والخضوع للأمر الواقع، فالموت ليس بذي آختيار، إنه يخبط خبط عشواء غير آبه، وهو ما عبر عنه العلامة عبد الله كنون وهو يرثي والده. يقول (المتقارب)[53]:

هو الموت لا يتحاشى أحـد ولا عنه للحي من ملتحـد

يكب المليك على عرشـه ويصرع وسط العرين الأسـد

ويدلف للطفل في مهـده ولا يفلت الشيخ مهما لبـد

لمنجلـه في نفوس الورى حصاد بلا موسم بلا أبـد

ويخبط خبطا كقول زهير فلا عن خطاء ولا عن سـدد

وهنا يصبح الصبر مطلبا يختبر فيه جلد الشاعر وصبره وقدرته على تجاوز موقف المفجوع، إلى موقف المتغلب على الفاجعة من خلال البحث عن مسلك يلتمس فيه تعزية النفس، وإلى هذا المعنى يشير مصطفى عبد الشافي الشوري في قوله: "**... العزاء مرتبة فوق**

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
البريد الالكتروني:
abdlbastejlili@gmail.com

مرتبة التأبين، إذ ينفذ الشاعر من حادثة الموت الفردية التي هو بصددها، إلى التفكير في حقيقة الموت والحياة. وقد ينتهي به هذا التفكير إلى معان فلسفية عميقة، فإذا نحن نجوب معه في فلسفة الوجود والعدم والخلود. ومرد هذا كله أن الحياة ظل لا يدوم"[54].

وقد عبر شعراؤنا عن هذه الفكرة في مستويات متباينة، وحذروا في سياق رثائهم لأقاربهم من مغبة الاطمئنان إلى الدهر، يقول محمد غريط:[55]

ما يصنع المستضعف المقهور إن جاء عكس مراده المقدور

والمرء مختار بقوله قادر وبفعل قوله عاجز مقهور

كل الورى هدف الحمام فأين من هو من سهامه سالم مستور

لو كان هذا الموت حكم طبيعة ما مات من أهل الحياة صغير

كل إلى أمد التفاوت سائر والكل دون تفاوت محشور

والروح آمنة الفناء وإنما تحجيبها عمن تود عسير

لو فكر المسرور في محياه لم يرتب بأنه غافل مغرور

وعرته من ذكر المنية روعة حتى كأن فؤاده عصفور

وقد ينصرف الشاعر إلى التسليم بأن قضاء الله ماض في الخلق، فيدعو إلى الاعتبار وإلى الصبر على نوائب الدهر ومصائبه، وهو ما فعله محمد بن عبد القادر ابن سودة[56] وهو يرثي قريبه وشيخه أحمد بن الطالب ابن سودة،[57] يقول:(البسيط)[58]

سلم ولا تضجرن وطب بحكم قضا وآقبل من الله محتوما من القدر

ما الردى إلا مفاجع ألم به تجلى قهرا من الرحمن فآصطبر

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
البريد الالكتروني:
abdlbastejlili@gmail.com

مهما عرتك نوائب الزمان فجد ... في الصبر تغدو حميد الذكر في العمر

إن ما يجمع هذه المراثي هو الوجدان الصادق والعاطفة الجياشة، وهي بذلك تستجيب للألم الممض الذي يملأ قلب الشاعر عند كل فاجعة تحل به، فتفيض عيناه من العبرات أنهارا. وإلى هذا المعنى يشير محمد بن إبراهيم المراكشي وهو يرثي أباه وفاء بفضله عليه. يقول (الطويل)[59]:

أبي عمدتي سؤلي منائي وسيلتي ... ندائي رجائي سيدي سؤددي دخري

لقد كنت ترعاني وترعى بنوتي ... وليس قليلا ما منحت من البر

سأسكب دمعي فوق قبرك سرمدا ... وليس بكاف سكب دمعي على القبر

وكنت مثال النسك والزهد والتقى ... وقمت بما أوصى به الله في الذكر

وأحرزت عن ذكر من الخلق طيب ... فنم في جوار الله يا طيب الذكر

سأبكيك حتى ما بقلبي زفرة ... تجيش وما بالعين من دمعة تجري

فهاج بها ما كان في القلب كامنا ... وأضرم في الأحشاء متقد الجمر

وفقد الأم أدهى وأمر، وأشد وقعا على النفس ولا يستطاع عليه صبرا، وقد أجاد شاعرنا وهو يصور إحساسه المكلوم إزاء رحيل والدته عن هذه الدنيا في قصيدة يتحدث فيها بشيء غير قليل من الحسرة والحزن عن هول الفاجعة وحدة المصاب وحجم الفراغ الذي تركته في حياته بعد موتها يقول (الطويل)[60]:

زهور عراها ما عرى الزهر والوردا ... وآثرت الدار النعيمة والخلدا

فوا أسفا من فقد أم حبيبة ... مثال الهدى، ما أهول الموت والفقدا

إلى أن يقول:

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
البريد الالكتروني:
abdlbastejlili@gmail.com

فوا حسرتا من فقد أم عزيزة فضائلها لا نستطيع لها عدا

فقدنا ورب البيت أما وفية تحذرنا الدنيا وترشدنا الضدا

فقدناها والآمال ترجو بقاءها ولكن حكم الله لا يقبل الردا

قضى الله موت العالمين جميعهم إلى الله كل يرتجي القرب لا البعدا

بكاها جميع الناس عينا وفي الحشا لهيب عميق قد أذاب الحصا الصلدا

ومما سنلاحظه ونحن ندرس رثاء الأقارب عند الشاعر المغربي، حضور الدمع كآلية للتخفيف من ألم المصاب وشدته، وإن كان كما يقول عبد الجواد السقاط .: **"تخفيفا بسيطا لا يساعد الشاعر على السلو والنسيان تماما، وإنما يفصح عن حزنه المكين وعاطفته الصادقة، ويظهره بالمظهر اللائق في مثل هذه المناسبات الأليمة والمواقف المؤثرة"**[61]. وعلى شاكلة الخنساء، يبكي الفقيه محمد الصفار ابنا له في قصيدة اخترنا منها هذه الأبيات (الكامل)[62]:

يا عين جودي بالدموع فليس ذا وقت الجمود واغزري من عبرتي

لتساعدي القلب الممزق إذا غدا حضوا برود محمد وازفرتي

أمحمد كنت الأنيس لوحدتي أمحمد كنت السواد لمقلتي

أمحمد كنت الدواء لعلتي أمحمد كنت الضياء لظلمتي

إن بكاء الولد من المواقف الصعبة التى قد يضيق على الشاعر أن يقول فيها رثاء، وقد وقف ابن رشيق عند هذه القضية قائلا: **"ومن أشد الرثاء صعوبة على الشاعر، أن يرثي طفلا أو آمرأة، لضيق الكلام عليه فيهما، وقلة الصفات"**[63]. ومبلغ التضحية عند هؤلاء، هو حينما يقدمون أنفسهم فداء لمن فقد من الأحبة. وصورة الفداء هي في كل الأحوال

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
البريد الالكتروني:
abdlbastejlili@gmail.com

قديمة في الشعر العربي ولعلها تكاد تكون بنية نمطية في غرض الرثاء، وقد وظفها الشاعر للتعبير عن شدة تعلقه بمن يرثيه من الأقارب حتى بعد رحيلهم. وفي هذا يقول شاعر الحمراء راثيا أحد أصدقائه وأقاربه وكان يدعى عبد العزيز (مجزوء الكامل)[64]:

عبد العزيز أنا فداك — من كل مكروه دهاك
إني دعوتك فلتجب — فلقد تجيب لمن دعاك
أم عن إجابة دعوتي — يا ليت شعري من نهاك
عودت عيني أن ترا — ك فما لعيني لا تراك
أنسيتني فتركتني — حاشاك أن تنسى أخاك
خلفت جمرا في الحشا — لا ينطفي بسوى لقاك

إن شدة تعلقه بصديقه الذي قضى نحبه، جعله يروم سبيلا للتخفيف عن نفسه بعض الذي يعانيه ويكابده، فنراه يطلب ممن سيقوم بدفنه بالتريث عسى أن يحيا من جديد، ولو على نحو من التمني الذي يستحيل تحققه. يقول:[65]

يا واضعيه بحفرة — ومخلفيه ها هناك
لا تعجلوا في دفنه — فعسا يعاوده حراك
ويحي وما هذا أرى — عبد العزيز أأنت ذاك
في القبر أنت ممدد — وعلى تراب وجنتاك
قلبي توسد يا حبيـ — ـب فما له عنك أنفاك

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
البريد الالكتروني:
abdlbastejlili@gmail.com

وأحيانا يسلك الشاعر مسالك التهويل والإفراط والمغالاة، وهو يصف عواطفه الباكية والتياعه المضطرم تجاه الفقيد، ويبدو أن الحزن قد أخذ منه مأخذه وتركه متوقد الصبابة سخين الدمع، مسهد الجفن، كثير السهر لا يعرف للنوم طعما، دائم التذكر والذكر لمن مات من الأحبة. فلنستمع إلى عبد المجيد الفاسي وهو يبكي أخاه محمد البشير(66) بدموع حارة وجفن لا يفتر، (الوافر)(67):

فراقك يا أخي أبكى العيونا وأجراها دما سحا سخينا

وأذهلنا وفتتنا وأدمى جسوما قد غدت شبحا حزينا

وذاب القلب من كمد وحزن لخطب مؤلم أذكى الشجونا

وغاب الرشد من وله عميق لفاجعة تهول ولن تهونا

وكيف أخي تروق لنا حياة؟ وقد ذقنا فراقا يبتلينا

وفي مقابل هذا الإفراط في رصد الآلام والأحاسيس المفجوعة، يلجأ الشاعر إلى توظيف مقاطع تأملية في لحظة من التأمل والتدبر، وكأن بالشاعر يتساءل عن حقيقة هذه الدنيا ومآل الإنسان فيها. إنها حقيقة ماثلة لا مناص من الاقتناع بتحققها في كل لحظة وحين. يقول العربي السودي في معرض رثائه لوالده قائلا:(الكامل)(68).

ماذا يرجى من زمان جائر ويراد من دهر عبوس باسر

يقضي على آمالنا بصروفه ويقد بغيتنا بسيف باتر

مهما يظن بأنه منح المنا إلا ويسلبها كفعل الساحر

إن غر يوما بالصفاء مغفلا في الحين ينقلب آنقلاب الماكر

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
البريد الالكتروني:
abdlbastejlili@gmail.com

إن توظيف مثل هذه المقاطع المتضمنة لمعجم يمتح مقوماته من حقل الحكم، يجعل العلاقة بين الرثاء كغرض والحكمة كمقطع وظيفي، علاقة موضوعية في كثير من تجلياتها، لأن الحكمة في هذا المقام تحمل طابع العظة والنصيحة، وهو ما يخدم قصيدة الرثاء. وقد سعى شعراؤنا في رثائهم لذويهم وأهليهم إلى استحضار هذا الجانب في سياق رؤيتهم لثنائية الموت والحياة، من ذلك ما قاله عبد الملك البلغيثي في رثاء والده، حيث ضمن قصيدته أبياتا تتمحور حول مصير الإنسان وما ينتظره من نهاية حتمية يرسم الموت خطوطها العريضة، يقول:(الوافر).

وما الموت الزؤام بذي آختيار إذا وافى طريفا أو تليـدا

كذاك المـوت يغشاه منون فمن يرجو الخلود فلا خلودا

هي الأيام لا تبقى بحـال فهل عـاد البلى بها جديدا

لعمرك ما حيـاة المرء إلا سراب لاح إن قابـلت بيـدا

أوالإشـراق أعقبه غروب أوالنبت الطري غدا حصيدا

فأين السابقـون وما أشادو وما ملـكوا بنينا أوجدودا

ويعد الحديث عن أخبار الأمم البائدة، وتجارب الملوك الأوائل الذين أتى عليهم الدهر، ضربا من ضروب الحكمة أيضا حين يوظفها الشاعر في سياق الإعتبار والموعظة، بالإشارة إلى أن ما حل بأولئك هو ما سيحل ـ حتماـ بكل آمرئ طال عمره أو قصر، وقد عبر العربي السودي عن ذلك في معرض رثائه لوالده، متسائلا عن مصير الفراعنة الذين تجبروا وطغوا في الأرض، وعما شيدوه من حضارة في الأزمان الغابرة وعن الملوك والعلماء وأصحاب الرأي، كل أخنى عليه الدهر وصار مجرد حديث يتلى. يقول:(الكامل)[69].

لا تركنن إليها ما البقا إلا لربك ذي الجلال القاهر

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
البريد الالكتروني:
abdlbastejlili@gmail.com

أين الفراعنة الطغاة وأين من شادوا وسادوا في الزمان الغابر

أين الأئمة من فقيه عالم أوسيد ملك مطاع آمر

جرفتهم بسيولها سحب المنو ن فأصبحوا خبرا كأمس الدابر

لقد نفث هؤلاء في مراثيهم لذويهم وأقاربهم، شحنات دافقة من الألم واللوعة، وعرفوا كيف يوظفوا أحزانهم وآلامهم في ملامسة حقيقة الموت والتفاعل معه من خلال تلك الأشعار التي جاءت مفعمة بكم من العواطف الصادقة والمنسابة كدفق في أحشائه الحزن كامن. وما جادت به قرائحهم في هذا الباب لدليل على ما كان يعمر قلوبهم من وفاء ومحبة تجاه من فقد من الأحبة وظعن.

❖ رثاء الملوك والسلاطين والأمراء:

يأتي رثاء السلاطين والأمراء ورجال الدولة، في المرتبة الثالثة من حيث الكم العددي للقصائد التي قيلت في هذه الطبقة مقارنة برثاء العلماء والأقارب، غير أن هذا لن يمنعنا من رصد بعض مقومات هذا النوع من الرثاء الذي بكى فيه الشاعر رموز الأمة وساداتها في شعر لا يخلو من عواطف صادقة وأحاسيس نبيلة تعكس في بعدها الأخلاقي ما كان يربط بعض الملوك ببعض أبناء الأمة من علاقات وشيجة. إن الشاعر وهو يرثي ملكا أو سيدا ذي جاه، ليس هو نفسه الذي يمدح، فالمقام يختلف ودرجة الصدق العاطفي تتباين بين هذا وذاك. وهنا نود أن نثير قضية آرتبطت برثاء هذه الطبقة من الناس، حيث آعتبر رثاؤهم ضربا من المديح والتملق، وهذا حكم فيه شيء من المبالغة والمزايدة، لأننا ينبغي أن نستحضر أجواء الرثاء التي يكون فيها الشاعر منكسر النفس، موجع القلب حزينه، وأجواء المدح التي يفترض أن يكون الشاعر فيها منشرح النفس ، بَيِّنَ الإنتشاء، ظاهر الفرح. فما بين المقامين- كما نلاحظ- بون شاسع لا يسمح، وهنا أيضا لا بد أن نلتفت إلى ما يثيره الموت من رهبة في نفس الشاعر الراثي فيبعثه على إبداء الحيرة والخوف إزاء قهر المنية وحتمية وقوعها.

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
البريد الالكتروني:
abdlbastejlili@gmail.com

إن الصدق العاطفي المرتبط بالعنصر الوجداني، يحضر بكثافة في الرثاء أكثر منه في المدح، ويبدو الشاعر من خلاله أكثر تفاعلا مع الآخر، وأمتن علاقة به، وأعمق تعبيرا عنه، ولابن رشيق في ذلك رواية أوردها في كتابه، حيث جاء:" **أن أحمد بن يوسف قال لأبي يعقوب الخريمي: أنت في مديحك لفلان أشعر منك في مراثيك له. فقال أبو يعقوب: كنا يومئذ نعمل على الرجاء، ونحن اليوم نعمل على الوفاء**"[70].

وسنلاحظ كيف أن الشاعر في رثاء هذه الطبقة مال إلى اعتماد ألفاظ جزلة، وأساليب معبرة، وصور عميقة تناسب مقامهم ومكانتهم. إن الشاعر يستبكي عيونه بإلحاح علها تخفف بعضا من ألم المصاب وهول الفاجعة، فلا سبيل للسلو غير الدمع الغزير ولا حيلة للصبر سوى الاستزادة من البكاء والعويل. ففي رثائه لأم السلطان المولى يوسف، يأبى الأديب محمد السليماني إلا أن يظهر تحسره الشديد على رحيل الفقيدة، معربا عن حزنه العميق، مصورا وقع المصاب على الجميع، يقول: [71]

وإذا كان للأريب ولا بـــ ـــد بكاء من آعتراه أفول

فالبكاء على الكريم رشاد إذ يضيع لفقده المأمول

إلى أن يقول:

حملوا نعشها وقــد خشع الـ ـكل جلالا شيوخهم والكهول

طالما أثقلت كواهـلـــــهم بـالـــ ـجود فضلا فدمعـهم مسبول

وأتوا تربة الأمير ابن عبد اللـ ـه والكل دأبـه التهـليل

والأمير أبو المحاسن يمــشي والدموع على الخدود تسيل

ولسمو مكانة الملوك والأمراء في البيئة المغربية وعلو شأنهم، جاء رثاؤهم كذلك على قدر من الرفعة والسمو يتناسب ومقام هذه الطبقة من المرثيين. ولعل ذلك ما دفع الشاعر

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
البريد الالكتروني:
abdlbastejlili@gmail.com

إلى العزف على نغم التهويل والتضخيم كلما بكاهم وأبدى لواعجه تجاه فقدهم. وفي هذا يقول الأديب الشاعر عبد الأحد الكتاني في رثائه للأمير المولى يوسف بن الحسن، مصورا هول المصاب وفداحة الخطب (الطويل)[72]:

لترتج من ظهر البسيط مناكبه وتنقض من أفق السماء كواكبه

ويسود من عرش الإله دلاهمه وتهتز على هام الزمان غواربه

قد آنهار من بيت النبوءة ركنه وقوض من عرش الخلافة جانبه

وقد ضاع فيك الملك خاسر ثواكله مرتاعة ونوادبه

بلى ضاع فيك الدين فالدين بعدكم عبوس الثنايا قاطب الوجه شاحبه

ويأتي الفداء أيضا في رثاء هذه الطبقة تعبيرا من الشاعر عن حبه وآستحضاره لشخص الفقيد. فهو يسترخص نفسه في سبيل من عز عليه فقده، وإن كان الأمر مستحيلا، ولعل هذا من أسمى درجات الوفاء والمحبة والإخلاص. وفي ذلك يقول الوزير محمد بن ادريس وهو يرثي السلطان المولى سليمان (الكامل)[73]:

فلو آستطعت جعلت قلبي قبره حبا وأحشائي من الأكفان

ولو أن عمري في يدي لوهبته وفديته بالأهل والإخوان

لكن يخفف بعض أثقال الأسى علمي به في جنة الرضوان

والدعاء للفقيد حقل من الحقول النمطية التي عرفها شعر الرثاء منذ القديم، ويأتي غالبا في نهاية القصيدة كمقطع وظيفي يبث فيه الشاعر كل ما من شأنه أن يدخل في حقل الدعاء والترحم، بعد أن يخلص من ذكر مناقب الفقيد. فهذا العلامة

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
البريد الالكتروني:
abdlbastejlili@gmail.com

الشاعر البيضاوي الشنجيطي[74] في معرض رثائه للملك الراحل المولى يوسف يختتم قصيدته بالدعاء له والترحم عليه، (الكامل)[75]:

كان الكريم ابن الأكارم يوسف أتقى وأخلص زاهد متعبد

ورث الهداية من أبيه وجده نعم الشريف ابن الشريف المهتدي

ما بال من جمعوا المراتب والنهى دفنوا المحامد والحجا في مرقد

يارب هب لأبي المحاسن منزلا فوق الأرائك في النعيم السرمدي

بعد هذا العرض، نستنتج أن الميزة التي تطبع رثاء طبقة الملوك والسلاطين تجنح في معظمها إلى التهويل والتعظيم وهذا ما يفقدها جانبا من الصدق الذي يمكن أن يستثير الألم والحزن في المتلقي، لكن هذا الحكم لا ينسحب على كل الأشعار التي قيلت في رثاء هذه الطبقة عصرئذ، فهناك مرثيات يستشعر فيها القارئ وهو يطالع أبياتها نوعا من التجاوب والانصهار مع ما يقرؤه، وذلك يدل على أن الشاعر قد نجح في آستدراجه إلى عوالمه الحزينة. وهذا يجعلنا نقر بأنه كلما كانت شحنة الصدق العاطفي حاضرة في المرثاة، كلما كان التأثير قويا في المتلقي. وهنا نستحضر المقولة النقدية التي تقول: **"إذا أراد الشاعر أن يبكينا فعليه أن يبكي أولا"**. فإذا بكى بصدق وحرارة وعرف كيف ينقل حزنه ويصوره، آستطاع أن يستثير نفس الشجى ونفس الألم في المتلقي. ولنا في قصيدة محمد البيضاوي الشنجيطي وهو يرثي المولى عبد الحفيظ في حكمة وتأمل ينجذب إليهما السامع آنجذابا وينساق إليهما آنسياقا، خير مثال على ألوان من الرثاء آستطاع ناظموها أن يحققوا ذلك التفاعل بينهم وبين المتلقي. يقول راثيا (الوافر)[76]:

تعالى الله ذو العرش المجيد هو القهار يفعل ما يريد

يبيد العالمين بقول بيدوا ويحيي من يشاء كما يبيد

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
البريد الالكتروني:
abdlbastejlili@gmail.com

قضاء الله ليس له مـرد ... وليس عن الرجوع له محيد

وما من حادث إلا سيفنـى ... وإن هو غره الأمل البعيد

وكيف يطيب للفطناء عيش ... وكل الناس مرجعهم صعيد

وقد نصبت حبائلها المنايا ... لهم والصيد أول ما تصيد

صروف حوادث الأيام تصحو ... لها السكرى وتنتبه الرقود

فكم ملك الألى سادوا وشادوا ... وكادوا أن يكون لهم خلود

فباد الملك وانقضت الليالي ... وعاد يبابا القصر المشيد

وفي محاولة للتخفيف من الحزن والأسى عن قلبه، لجأ الشاعر إلى ضرب المثل بفجائع الأمم السابقة، وهي كما أشار إلى ذلك ابن رشيق في كتابه "العمدة"[77] عادة مارسها الشعراء القدامى في الرثاء للدلالة على هول المصاب وفضاعة الخطب، يقول البيضاوي الشنجيطي(الوافر)[78]:

فأين ملوك أندلس ومصر ... وحمير والمعاقل والجنود

وما عاد بنته بكل ربع ... وما نحتته من جبل ثمود

وقيصر أين ناديه وكسرى ... دعوا قسرا فلبوا حين نودوا

ولم ينظر لعز الملك موسى ... ولا من بعد هارون الرشيد

ومن ضرب المثل بمصائب الأمم السابقة يخلص إلى رثاء السلطان في سلاسة لا نشعر معها بذلك الانتقال من موقف المتأمل المعتبر إلى موقف الراثي المأبن. يقول[79]:

إذا مات في بلد مجيد ... رثاه الشاعر الذرب المجيد

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
البريد الالكتروني:
abdlbastejlili@gmail.com

وذا الملك الكريم له علينا الـ ـيد البيضاء والفضل المديد

ومن كثرت أياديه امتنانا قليل في مراثيه القصيد

وهكذا نخلص بعد آستعراضنا لهذه النماذج المختلفة لشعراء المرحلة في رثاء الأشخاص على آختلاف طبقاتهم، إلى تصور عام مفاده؛ أن الرثاء عندهم لم يخرج في معانيه عن دائرة ما كان سائدا في الشعر العربي القديم، بل ظل يدور في فلكه ويمتح من مقوماته، مستحضرين طريقة القدامى في تناول فن الرثاء، حيث عزفوا على نغمة التهويل في وصف الفاجعة وبالغوا أحيانا في إبداء جزعهم وحزنهم على من قضى من الأحبة وإن كان هذا التهويل ـ في رأينا ـ لا يفقد المرثية صدقها العاطفي ولا ينفي عنها ذاك الفيض من المشاعر الصادقة وإنما يكشف عن حجم المحبة والوفاء الذي يكنه هؤلاء الشعراء لمن رثوهم. فعلى قدر المحبة يكون الجزع وعلى شدة الجزع يبنى الرثاء.

المبحث الثاني:(رثاء الأماكن)

❖ رثاء الثغور المغربية:

إن القول بمفهوم "التماهي" بين الشاعر المغربي والمكان/الوطن، يدفعنا للبحث في طبيعة هذه العلاقة النفسية والوجدانية التي تأسست من خلال تلاشي المسافة بين الوطن والذات الشاعرة ليكون هذا الوطن/المغرب، حاضرا على الدوام، وبالضرورة في قلب الشاعر ووجدانه. إن مفهوم الوطن لم يكن مجرد مفهوم مكان وجغرافية بالنسبة إليه، وإنما كان جزءا لا يتجزء من وجدانه وكيانه، ولم يكن احتلال أرضه واغتصابها انتهاكا للمكان من حيث هو مكان، بل هو اعتداء صارخ على حريته ووجوده وهويته، فلا غرو أن نجد المغرب يتخذ لنفسه في قصائد الشعراء المغاربة مكانته الشعرية التى تجلت في صور شتى تعكس في كثير من جوانبها ذلك التماهي بين الذات والمكان. ولعل رثاء الأماكن وبكاءها من أكثر ألوان الشعر تعبيرا عن تلك العلاقة الوثيقة بين الشاعر ووطنه، فإن فقده، بكاه وإن بكاه فهو يبكيه بصدق وحرقة.

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
البريد الالكتروني:
abdlbastejlili@gmail.com

لقد عانى الشاعر المغربي محنة الاحتلال وفجع وهو يعيش مأساته، لكنه لم يقف عند حدود بكاء المدن السليبة وما آلت إليه أوضاعها من خراب، بل دعا متحديا إلى تحويل البلاد إلى محرقة يحترق الأعداء في أتونها، فكانت أشعاره صرخة مدوية تردد صداها داخل المغرب وخارجه، وشعر المرحلة غني بالقصائد والمقطعات التي بكى فيها أصحابها سقوط عدد من المدن والثغور في يد الاحتلال، ودعوا من خلالها إلى الصبر والمواجهة والجهاد من أجل تحرير البلاد من ربقة الاستعمار. و للإشارة فالشاعر المغربي إضافة إلى كونه مبدعا، كان عالما فقيها ومناضلا وطنيا، لذلك وجدنا في أشعاره نفسا تتواشج فيه قضية الوطن ومفهوم العقيدة تواشجا وثيقا لا يكاد ينفصم. فعندما نطالع قصيدة للمفضل أفيلال[80] مثلا وهو يرثي مدينة تطوان بعد حرب 1860م، سوف نلمس حضور ما يمكن أن نسميه **"بالتجلي الديني/ الوطني"** في إبداع الشاعر. يقول (المجتث)[81]:

يا دهر قل لي على مه ... كسرت جمع السلامه
نصبته للدواهي ... ولم تخف من ملامه
خفضت قدر مقام ... للرفع كان علامه
ملكته لأعاد ... ليست تساوي قلامه

ويمضي الشاعر في رسم معالم حزنه وبثه ولوعته على مدينته السليبة واصفا حالها قبل النكسة وبعدها[82]:

فالدين يبكي بدمع ... يحكيه صوب الغمامه
على مساجد أضحت ... تباع فيها المدامه
كم من ضريح ولى ... تلوح منه الكرامه

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
البريد الالكتروني:
abdlbastejlili@gmail.com

ومنـزل لشريـف وعـالـم ذي استقـامـه

صار كنيفا لعلــج ولـم يـراع احـتـرامـه

وكم وكم من أمــور للـديـن فـيـه اهـتـضـامـه

تبكي عليها عيــون كآبـة ونـدامــه

إلـى أن يقـول:

رماك بالعيـن دهــر ولا كـزرقا اليمـامـه

ففـرق الأهــل حتـى لـم يبـق إلا ارتسـامـه

إن الاحتلال فرق بينه وبين أحبته، ما جعله يتذكر في أسى وأسف تلك الأيام الخوالي التي كان ينعم فيها بالجلوس معهم والحديث إليهم وما كان يجري بينه وبينهم من مسامرات شعرية وأدبية. يقول مشتاقا.. ملتاعا.. مكلوما[83]:

مـا كـان أحلـى زمـانـا ومـا ألـذ غـرامــه

مضى لنا مع بـدور ذوي نهـى وفـخـامـه

مـا بيـن إنشـاد شعــر وبيـن إنشـا مـقـامـه

وشملنا في التئـام والبسـط يهـوى التئامـه

حـن السـرور إليــه شوقـا ورام التئامــه

بعد هذا يناشد الشاعر أهل تطوان ويحثهم على الصبر، لأن الفرج آت لا محالة، وأن دوام الحال من المحال. فما من ليل دامس إلا ويعقبه صبح منير[84]:

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
البريد الالكتروني:
abdlbastejlili@gmail.com

يـا أهل تطـوان صبـرا فمـا لخطـب إدامـه

دوام حـال مـحـال وهـل يظـل إقـامـه

إن غـاب نجـم سعـود ولاح نجـم شـآمـه

فسـوف يطلـع بـدر يمـحـو سناه ظلامـه

ولحضور الوازع الديني في ثقافة الشاعر المغربي كما أشرنا أثر بين في شعره، حيث نجد المفضل أفيلال ينهي قصيدته بتفويض الأمر إلى الخالق تعالى القادر على تغيير الأحوال والمرجى عند الشدائد والنوائب. وفي ذلك إشارة إلى الحس الديني والإيمان القوي بالله عز وجل. يقول[85]:

وحسـنوا الظـن تـنـجوا دنيـا ويـوم القيـامـه

وفـوضوا الأمـر للـه يكف عنـا انتقـامـه

مـا فـاز إلا ذكـــي قـدم خيـرا أمـامـه

وهذا شاعر آخر ويدعى محمد بن عبد القادر الكردودي[86] ، يصور بعض أوجه الفاجعة التي حلت بمدينة طنجة المحاصرة من قبل المستعمر، وذلك عندما قام أحد اليهود بسب نبي الإسلام عليه السلام، وهم بعض المسيحيين بانتهاك حرمة أحد جوامع المدينة. يقول مستصرخا في لوعة وحرقة وأسف (الطويل)[87]:

سـلام على أرض سـلام مـودع أقـام بهـا دهـرا على لهب الجمـر

سـلام على الإسـلام فيها وأهلـه حماة غريـب الدين من صولة الكفـر

سـلام عليكم سـدد الله رأيكـم وعاملكم باللطف في السـر والجهـر

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
البريد الالكتروني:
abdlbastejlili@gmail.com

تخذتم بلاد الذل دارا وإنها وإن كملت حسنا تعامل بالهجر

بلاد غدا نور الوجود محمد يسب بها جهرا فيا له من خسر

وشأن اليهود في حماها معظم وحكم النصارى في جوانبها يجري

إلى أن يقول ملتاعا باكيا محذرا:

فدين رسول الله فيها كما ترى غريب يحن للتعزز والنصر

على غربة الإسلام أبكي تأسفا وأندب أهلا للمكارم والفخر

إن تخاذل المغاربة في الدفاع عن حرمة الإسلام هو الذي فسح المجال لانتهاك حرمة الدين وقدسيته، فكان ذلك حافزا دفع العديد من شعراء المرحلة إلى إعلاء صرخاتهم وإعلان تمردهم على ما آلت إليه الأوضاع من ترد واندحار باكين ملتاعين كلما انتهكت حرمة أو سقطت مدينة، وفي هذا يقول محمد بن الشيخ سيدي الشنجيطي مصورا في أسف بليغ، باكيا بدمع لا ينضب الأوضاع المتردية إثر ازدياد الأطماع الأجنبية على المملكة (الوافر)[88]:

ولو في المسلمين اليوم حر يفك الأسر أو يحمي الذمارا

لفكوا دينهم وحموه لما أراد الكافرون به الصغارا

حماة الدين إن الدين صارا أسيرا للصوص وللنصارى

فإن بادرتموه تداركوه وإلا يسبق السيف البدارا

إلى أن يقول متأسفا[89]:

فيا للمسلمين لها أمورا لها الأكباد تنفطر انفطارا

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
البريد الالكتروني:
abdlbastejlili@gmail.com

تهاونتم بموقعها وما إن تهاونتم بها إلا اغترارا

إن الحل كما يراه الشاعر لن يكون إلا بمجاهدة أعداء الدين والوطن، فهو السبيل الأوحد لاسترجاع كرامة المسلمين وعزة الإسلام ونيل رضا الله وجناته. يقول[90]:

أجيبوا داعي المولى تعالى أو اعتذروا ولن تجدوا اعتذارا

أجيبوه بدنياكم تعـــزوا وتدخروا من الأجـــر ادخارا

فإحدى الحسنيين لكم أعدت حمـــالة قـــادر حاز اليسارا

إن حضور الخطاب الديني في رثاء هؤلاء كان حافزا قويا لاستنهاض الهمم وتأجيج المشاعر حتى تنتفض وتستفيق من سباتها. فكان الجهاد كمفهوم وظيفي يشتغل كآلية فاعلة توسل بها الشاعر المغربي لتحقيق تلك الغاية، إيمانا منه بأن البكاء وحده لن يجدي شيئا. فهذا الطاهر الإفراني[91] يقول مستصرخا داعيا إلى الجهاد والمقاومة بعدما ازداد تكالب الأعداء على المغرب بداية القرن العشرين (الطويل)[92]:

لقد أنشب الكفر المداهن نابه ومد إلى سرح الهدى كف مفسد

وكاد بأنواع المكائد أهله فصار ينادي: خامري وتبلدي

أسر احتساء في ارتقاء وماله سوى الدين من مرمى يرام ومقصد

وقد بلغ السيل الزبى بظهوره وإن لم يداو العر بالكي يزدد

إن صرخات الشـــعراء - يقول محمد حجي- : "**... دوت عالية لتدبر الموقف، وتلمس أوجه الداء والبحث عن ناجع الدواء، لفك الحصار المضروب، والإنطلاق في جو الحرية**"[93]. فهذا المهدي الحجوي يدل قومه على سبيل المجد الذي طمست معالمه خطوب الزمان:(البسيط) [94]

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
البريد الالكتروني:
abdlbastejlili@gmail.com

إلى متى نستلذ النوم وا حزنـــي وغيرنا يطلب الدستور والشورى

متى نفيق وعين الدهر شاخصة تقضي على كل من بات مغـــرورا

هبوا إلى المجد يا أبناء من رفعوا للمجد صرحا بعلم كان منـــشورا

وهذا أديب سوس المختار السوسي[95] ، يعرب عن فجيعته في وطنه، بغير قليل من الحرقة والأسـف، ويستنكر ما يجري، داعيا بني جلدته إلى الإنتـفاضة وتكسير حاجز الخوف والصمت، وإلا فالموت أهون من عيشة ذل، يقول:(الطويل) [96].

ولكن إذا ألقيت يومك نظرة فـــكم لوعة تذكو وكم زفرة تعلو

لتسقط على الأرض السماوات ولتقم قيامة شعبي فالهلاك ولا الذل

لقد كان الشاعر المغربي حاضرا في بوثقة النضال يوجه ويؤطر ويحمس، وما تلك القصائد التي كان يبث فيها أشجانه، ويحث فيها على الصبر والجهاد والمقاومة، إلا وجها من أوجه هذا الحضور الفاعل والمؤثر. ورثاء المدن وإن كان ظاهر مضمونه العام هو بكاء الثغور المحتلة والمدن السليبة وتصوير حزن الشاعر ولوعته وعميق ألمه. فهو يحمل في طياته مجموعة من المضامين الثورية والمحرضة على الثورة ضد الأوضاع الفاسدة. إذا فالشاعر وهو يبكي، يمرر كما هائلا من الخطابات المناهضة للاستعمار وسياسته التوسعية، وهنا تبرز القيمة السامية والدور الفاعل لشعر رثاء المدن في مغرب بداية القرن العشرين إذ لم يقف عند حدود القيم الفنية الجمالية كأدب جميل، وإنما تعداها إلى قيم إنسانية تنشد استنهاض الهمم للتحرر والانعتاق من هيمنة الاحتلال. هكذا تتجلى قيمة المكان كمعادل جغرافي يختزل فيه الشعراء هويتهم وثقافتهم، آمالهم وآلامهم، ماضيهم وحاضرهم. إنه الفضاء الذي يشعرون فيه بكينونتهم ووجودهم، وفي ذلك يقول عز الدين المناصرة:" **الأمكنة جزء من التجربة الحياتية سلبا وإيجابا، والشاعر يقرأ أسرار الأمكنة**

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
البريد الالكتروني:
abdlbastejlili@gmail.com

وخفاياها، ويقــرأ جغرافيتها وتاريخها المـاضي والحاضر والمستقبل. لا بد للمكان أن ينصهر ويذوب في دم النص"[97].

❖ **رثــاء المدن الــعربية:**

وتنداح قصيدة الرثاء بين يدي الشاعر المغربي متجاوزة المكان في بعده الجغرافي، لتأخذ أبعادا نفسية وعاطفية وقومية ولتعبر عن مناحي التواصل والتماهي بين المشرق والمغرب في سياق ماشهدته الساحة العربية من تحولات إبان فترة الإحتلال.

لقد كان الشاعر المغربي حاضرا في قلب المأساة العربية، مشاركا في رسم معالمها، معبرا عن معاناة شعوبها وأحزانها، مصورا آلامها وآمالها. حيث كان مفهوم الوطن عنده متسعا لا يؤمن بالحدود الجغرافية الضيقة. فإن بكى الشرق وجد صدى بكائه يتردد في المغرب وأسرع أبناؤه لنجدته والوقوف إلى جانبه في حب وتفان ونكران ذات. وقصائد الرثاء في هذا الباب جسدت ذلك التواصل في أرقى تجلياته، وما رثاء الشاعر المغربي للمدن العربية السليبة إلا وجها من أوجه التلاحم والتضامن الذي طبع الشعوب العربية على مر العصور والأزمنة، والتاريخ يشهد على الكثير من تلكم المواقف.

فهذا الوزير محمد بن ادريس العمراوي الفاسي[98] **يصرخ مدويا لإيقاض الهمم من سباتها، داعيا مستصرخا كل المغاربة لإغاثة إخوانهم بالجزائر(الرجز)** [99]:

واسطة المغـــــرب قد حازها	**والأمر جـــد والبلا في ازدياد**
حوى الجزائـــــــــر ووهرانها	**وراع حاضـــــــــرا بذاك وباد**
مصائب صبت على معشر	**يبكي من الإشفاق منها الجماد**
يكاد يقضي المرء من حرها	**على حشـــــاه وتذوب الصلاد**

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
البريد الالكتروني:
abdlbastejlili@gmail.com

إخوانـــــــــكم دنيا وجيرانكم أضحوا رعايا الشرك بين أعاد

ســــــاموهم هونا وأزروا بهم في الدين حتى ركنـــوا لارتداد

وطمعوا فيـــــكم فكونوا يدا فـــــــــإن تثاقلتم فأنتم مراد

قد ملكوا الأحرار من غدرهم ودللوا بالكره صعب القيـــــاد

وللدلالة على هول المصاب وفضاعة الخطب يذكر الشاعر بمأساة الأندلس في مرحلة آنهيارها السياسي في القرن التاسع الهجري. وذلك لأخذ العبرة من الماضي وآتخاذ الحيطة والحذر من العدو، والذي أثبتت أحداث التاريخ مكره وخداعه وتلونه، يقول[100]:

تذكروا وقعة أندلس وأبصروا منها سبيل الرشاد

لتعلموا غدر العدو وما رمى به من كل خطب نئاد

تحملوا من غدرهم سبة أمرض أمرها القلوب وءاد

إن الخداع عنده سنة والنكث دينه متى ما أراد

سلوا الجزائر وما قد لقوا من غدره بعد عهود شداد

بعد هذا يخلص الشاعر إلى رثاء الجزائر، باكيا إياها في شعر صادق يفيض إحساسا بالألم، ويثير الشجى في نفس كل من يقرؤه. فلنستمع إليه هو يبدي تأسفه وحسرته تجاه هذا القطر الشقيق الذي تخاذل المسلمون عن تحصينه. يقول[101]:

آه على الإسلام وقد ضعفت أنصـــــــاره بعد قوى وآشتداد

آه على مساجد رجـــــــعت بعد الصلاة خـــان خمر وناد

آه على صـــــــوامع أبدلت بعد الأذان نقر نـــاقوس صاد

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
البريد الالكتروني:
abdlbastejlili@gmail.com

آه علـــــى مدارس أصبحت بعد دروس العلم مأوى الوغاد

آه على مكـــــاتب قد خلت وعـــــادها بعد النفاق الكساد

ومثل هذا التكرار يشـــكل ضربا من التحسر الذي يختزل مصيبة الشاعر وفجيعته في وطنه، ويجعله محاطا بإحساس يتجاذبه الحنين إلى الماضي تارة، والتحسر على ما آلت إليه الأوضاع في الحاضر تارة أخرى.

ولم يقف هؤلاء عند حدود البكاء والإستسلام، وإنما عبروا عن سخطهم ورفضهم لما يقع لآعتقادهم الشديد بأن البكاء لا يمكن أن يعيد وطنا مسلوبا ولا أن يغير واقعا مهزوما، من ثمة بدت صرخات الشعراء احتجاجية، مخترقة حدود الصمت والمكان، لاعنة الزمن الذي ذل فيه العرب. فعند احتلال مدينة تلمسان سارع مجموعة من الشعراء المغاربة إلى رفع أصواتهم مستنكرين بشدة تواطؤ بعض رجالات الدولة المغربية مع القوات الفرنسية المحتلة. وفي ذلك يقول الوزير الشاعر محمد غريط مستنكرا غاضبا ومحذرا من مغبة الإئتمان لنوايا العدو، مذكرا بما وقع في الأندلس بالأمس القريب. (البسيط)[102]:

مالي أرى جفن أهل الغرب وسنانا من بعد أن أخذ الرومي تلمسانا

كأنهم مادروا مـــــــاذا يريد بهم عدو ديـــــــــنهم لا نال إمكانا

ولا علـــــى فعله في دفتر وقفوا بأهل أندلس يابسين ما كـــــانا

لا عذر للمسلمين في التكاسل عن جهاده حسبة منهم وإيمانـــــــــا

أين الكـــــماة الحماة مالهم رقدوا والكفر في أخذهم ما زال يقضانا؟

إن توظيف المأساة الأندلسية في ثنايا النص الرثائي عند الشعراء المغاربة، يؤشر على فضاعة الوضع وفداحة الخطب وينبه إلى ضرورة آتخاذ الحيطة والحذر من العدو الذي لا يؤتمن له جوار، وما وقع بالأمس في الأندلس يتكرر مرة أخرى وكأننا بالتاريخ يعيد نفسه

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
البريد الالكتروني:
abdlbastejlili@gmail.com

ودوائر الزمان تدور لتسحقنا رحاها. بعد ذلك يحث أبناء الجزائر على الجهاد لتحقيق النصر والاستقلال، وللفوز برضا الله وسابغ نعمه، ودعوته إياهم إلى آسترخاص أنفسهم في سبيل ذلك إيمانا منه بأن الله سينصرهم لا محالة. كيف لا وهو القائل "إن تنصروا الله ينصركم"[103]:

لا موت أفضل من موت الجهاد لمن ... يرجومن الله جنة ورضوانا

إن تنصروا الله ينصركم فلا تهنوا ... ولتخلعوا في ابتغاء القوم أرسانا

إن مفهوم "الجهاد" قد يحضر في سياق **وظيفي**، وذلك عندما يتوسل به لآستنهاض الهمم وتحريض النفوس واستثارتها، كما قد يحضر في سياق **دلالي** يعكس مرجعية الشاعر وثقافته الدينية. فهذا الوزير محمد بن ادريس العمراوي السالف الذكر يدعو هو الآخر إلى الجهاد في سبيل نصرة الجزائر، محذرا من الأخطار التي تحذق بهذا القطر العزيز إذا ما تخاذل المغاربة عن نصرته والذوذ عنه، فما دام الخطر قائما يحوم حولنا فلا سبيل إلى الطمأنينة والراحة. يقول (البسيط)[104]:

ياأهل مغربنا حق النفير لكم ... إلى الجهاد فما في الحق من غلط

فالشرك من جنبات الشرق جاوركم ... من بعدما سام أهل الدين بالشطط

فلا يغرنكم من لين جانبه ... ما عاد قبل على الإسلام بالسخط

فعنده من ضروب المكر ما عجزت ... عن دركه فكرة الشبان والشمط

فواتح المكر تبدو من خواتمه ... فعنده المكر والمكروه في نمط

وأنتم القصد لا تبقن في دعة ... إن السكون إلى الأعداء من السقط

من جاور الشر لا يعدم بوائقه ... كيف الحياة مع الحيات في سفط

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
البريد الالكتروني:
abdlbastejlili@gmail.com

وللقضية الفلسطينية نصيبها من إبداع المغاربة عصرئذ، وحضور"فلسطين" كفضاء وجداني شكل هاجسا أرق الشعراء المغاربة ودل على قوة التواصل الوجداني بين الشعبين وعلى عمق الإحساس بمأساة الآخر حين يفقد هذا الآخر وطنه. فقد كان إيمان الشاعر المغربي قويا بوحدة مصير الشعوب العربية وكان يرى أن الواجب الديني والقومي يفرضان عليه الإسهام في نصرة المستضعفين من بني جلدته وإن باعدت بينهم المسافات، فالجرح يبقى واحدا والألم كذلك يبقى واحدا. وللشاعر محمد العربي الآسفي في ذلك قصيدة يأبى فيها إلا أن يبدي استنكاره لقرار الأمم المتحدة بشأن تقسيم فلسطين، مستصرخا الأمة العربية للخروج عن بكرة أبيها لنصرة الأرض المقدسة وأهلها، يقول:(الخفيف)[105]:

دول الغرب آسمعي موت شعب عربي قد طال منه التشاكي

مجلس الأمن إن حكمك جور وضلال ومبعث للعراك

هيئة العالم الموحد سيري وآجعلي العدل من أساس بناك

إن حكما أمضاه أهلك زورا ونفاقا لمصدر لفناك

أسخط الحق فهو منه شرار مستطير يثور ضد بقاك

خلق اليأس في الضمائر ما قد سجلت في رضا اليهود يداك

ونحن نقرأ شعر رثاء المدن العربية، تطالعنا تلك النفحات الثورية الرافضة والمعبرة عن الرغبة في الانعتاق والتحرر من هيمنة المستعمر الغاشم، وفي هذا يقول العلامة عبد الله كنون مناديا أبناء الشعب الفلسطيني إبان ثورة 1936م مبديا تعاطفه المطلق معهم، داعيا إياهم إلى الصبر والمقاومة حتى النصر (الرمل)[106]:

صبرا ليس يبالي واحد بألوف من علوج تتدانى

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
البريد الالكتروني:
abdlbastejlili@gmail.com

عزلا إلا من العزم الـذي — رد نيران العدا تحكي الجنـانا

فضربتم للورى أمثلــة — عز إدراك لها أوان تـدانى

وغدوتم قدوة حسنى لمـن — يبتغي في الشرق أن يبني كيانا

ورفعتم هامة العرب التـي — أطرقت من ضربة الدهر زمـانا

إنه يتخذ من الشعب الفلسطيني نموذجا للنضال والصمود، يجب على كل الشعوب العربية الاقتداء به في شجاعته وإيمانه وصبره وروحه القتالية، إن هي أرادت أن تستـفيق من غفوتها وتتطلع إلى غد أفضل تتلاشى فيه معـالم القهر والاستبداد وتشرق فيه شمس الحرية والانعتاق. وبهذا يتضح أن الشاعر المغربي لم يقف مما وقع في البلدان العربية الشقيقة موقف المتفرج المحايد، بل وجدناه يتغلغل في تفاصيل معاناتها وينفذ إلى أعماق فجائعها، يندب حظها ويصور مأساتها ويدعو إلى نصرتها. وبين هذا وذاك ينثر بذور الأمل إيمانا منه بالقضية وبأن فجر الحرية سيشرق متوهجا.

علـــى سبيل الختـــم:

لقد حضرت البلدان العربية في الخطاب الشعري المغربي خاصة في فن الرثاء، وذلك في تجليات تكشف عن تعاطف المغاربة مع ما يقع في الجوار، وحضورها لم يقتصر على كونها أمكنة جغرافية فحسب، وإنما تعدى ذلك لتأخذ أبعادا وجدانية وقومية تعبر عن عاطفة صادقة وتجربة حية لامس من خلالها الشاعر المغربي هموم الشعوب العربية، وتقاسم مع أبنائها أحزانها وانتكاساتها في نصوص اختزنت كما هائلا من مشاعر النبل، وانطوت على انفعالات عميقة يجيش بها وجدان الشاعر وينطق بها لسان حاله.....

الاحالات و الهوامش:

1- أنظر بشأن هذا التمهيد، المصادر الآتية:

*"الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى" لأحمد الناصري_ تحقيق: ذ. جعفر الناصري وذ. محمد الناصري_ دار الكتاب، البيضاء؛ 1954م.

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
البريد الالكتروني:
abdlbastejlili@gmail.com

*"المغرب عبر التاريخ" لإبراهيم حركات_ الدار البضاء_ الطبعة الأولى؛ 1985م.

*"المغرب الأقصى في عهد السلطان الحسن الأول(1873_ 1894م/ 1290_ 1311هـ)" لمحمد العربي معريش_ دار الغرب الإسلامي، بيروت_ لبنان؛ الطبعة الأولى 1989م.

*"الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية" ذ. محمد الأخضر، دار الرشاد الحديثة_ البيضاء_ الطبعة الأولى؛ 1977م.

*"الموقف المغربي من تطور الأطماع الأوربية: 1845م_ 1880م" رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ من إعداد؛ ذ. لطيفة بناني سميرس_ تحت إشراف: د. يونان لبيب رزق_ جامعة سيدي محمد بن عبد الله/ كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر المهراز، فاس_ السنة الجامعية: 1982_ 1983.

2 – "الشعر بالمغرب زمان العلويين(1171ه_ 1238ه)"_ د. أحمد العراقي، ص:385.

3 – محمد بن المهدي الحجوي أديب وشاعر من مواليد مدينة فاس عام 1322هـ، تلقى علوم الدين والنحو والصرف والبيان والمنطق والأحوال والحديث والتفسير بالقرويين على يد ثلة من العلماء الكبار أمثال أحمد بن الخياط وأحمد الجيلاني وغيرهما.... أنظر: "الأدب العربي في المغرب الأقصى"، تأليف: محمد بن العباس القباج؛2/127- "كناشة المراثي لصاحبها عبد السلام بن عبد القادر ابن سودة"، تقديم وتحقيق: ذ. عبد الباسط اجليلي؛ ص:62.

4 – محمد بن محمد السليماني من كبار الأدباء والمؤرخين على عهده توفي بفاس مسقط رأسه سنة 1344 هـ ... – "التأليف ونهضته بالمغرب في القرن العشرين من 1900م إلى 1972م"، منشورات النادي الجراري(1)، ،ص:206- "الأدب العربي في المغرب الأقصى"1/41- 42- "الشعر المغربي مقاربة تاريخية: 1830- 1960م"، محمد أديب السلاوي، ص: 199- كناشة المراثي، ص:62.

5 – "كناشة المراثي"، ص:62- . جريدة السعادة المغربية السبت 10 ربيع النبوي 1345هـ، العدد 3005، السنة 23.

6 – القاضي موسى الروداني:(1283هـ - 1362هـ)،هو موسى بن العربي بن ابراهيم بن عبد الله بن أحمد بن محمد، كان مسقط رأسه في قرية "تيروكت" بر سموكة إحدى قبائل جزولة.... أنظر: "المعسول"، للمختار السوسي :ج18 ،ص:5 وما بعدها.

7 – المعسول:18/31.

8 – أديب فاس وشاعرها، تلقى علوم القرآن على جده لأمه العالم المشارك أبي العلاء ادريس بن محمد بن طلحة، وعلوم الحديث والفقه والتفسير على يد قاضي فاس الأكبر أبي عبد الله بن رشيد العراقي، وشيخ الجماعة أبي العباس أحمد بن الخياط الذي أجازه بخطه ولفظه عام 1341هـ، بعد أن سمع عليه أوائل الصحيحين. - أنظر ترجمته في: "الأدب العربي في المغرب الأقصى":2/189 وما بعدها- "كناشة المراثي"، ص:79.

9 – محمد بوجندار الرباطي أديب شاعر وفقيه مؤرخ، ولد في الرباط سنة 1307هـ، وبها توفي سنة 1345هـ: "الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى"، محمد بن تاويت:3/952- "التأليف ونهضته بالمغرب في القرن العشرين" ... لعبد الله الجراري،ص:236- 237- 238، "الأدب العربي في المغرب الأقصى1"/ 65- 66، "الشعر المغربي، مقاربة تاريخية"، ص:199، كناشة المراثي، ص:73.

10 – "كناشة المراثي"، ص:79- جريدة السعادة المغربية، الثلاثاء3 جمادى الأولى 1345هـ/ 9 نونبر 1926م، العدد 3025، السنة 23.

11 – نفسه.

12 – المصدر السابق.

13 – يقصد الرباط وسلا.

14 – الفقيه الأريب والشاعر الأديب عبد الملك البلغيثي الحسني ولد بفاس سنة1322هـ، قرأ على الفقيه العلامة المحدث الشريف المدني بن الحسني الرباطي، وعلى الفقيه العلامة المشارك أحمد بن الخياط.... أنظر:"الأدب العربي في المغرب الأقصى2"/121- "الشعر الوطني المغربي في عهد الحماية،1912- 1956م"، د. إبراهيم السولامي، ص:225- كناشة المراثي، ص:49.

15 –أحمد البلغيثي، واحد من كبار علماء الفقه الإسلامي المشهورين بالمغرب على عهده، ازداد بمدينة فاس سنة 1929م، آشتغل بالتدريس والقضاء، وقام بجولات واسعة في اقطار المشرق العربي...1"الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى"3/940- 941- "الشعر الوطني المغربي في عهد الحماية، 1912- 1956م"،ص:224، كناشة المراثي،ص:115.

16 – كناشة المراثي، ص:120- جريدة السعادة المغربية، 4 يناير 1930م/ شعبان 1348هـ، العدد 3487، السنة، 26.

17 – "شعر الرثاء في العصر الجاهلي" لمصطفى عبد الشافي الشوري؛ ص:188.

18 – "كناشة المراثي"، ص:120- جريدة السعادة المغربية، 4 يناير 1930م/ شعبان 1348هـ، العدد 3487، السنة، 26.

19 – هذا مطلع قصيدة يمدح فيها المتنبي كافورا، أنظر بشأنها: "العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب"، ص: 471.

20 – "كناشة المراثي"، ص:120- جريدة السعادة المغربية، 4 يناير 1930م/ شعبان 1348هـ، العدد 3487، السنة، 26.

21 – "التعازي والمراثي"؛ للمبرد: 2/1.

22 – "الأدب العربي في المغرب الأقصى"، تأليف: محمد بن العباس القباج: 28/1- 29.

23 – الفقيه الأديب أبو العباس أحمد سكيرج، ولد بفاس عام 1925م، عاصر العهود الأربعة بعد المولى الحسن الأول... "الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى"، محمد بن تاويت: 943/3- "التأليف ونهضته بالمغرب في القرن العشرين" لعبد الله الجراري، ص: 42- 46_ "الأدب العربي في المغرب الأقصى"؛1/ 57_ "كناشة المراثي"، ص:36.

24 – الفاطمي بن محمد الشرادي(ت 1344هـ) بالرباط، علامة مشارك، كثير التدريس والإفادة، تولى القضاء بنواحي سوس....أنظر، "إتحاف المطالع بوفيات القرن الثالث عشر والرابع" لعبد السلام ابن سودة: 485/2- "كناشة المراثي"، ص:36.

25 – "كناشة المراثي"، ص:36.

26 – "كناشة المراثي"، ص:36.

27 – عبد الله بن محمد ابن سودة (ت 1306هـ)، العلامة المشارك المدرس، تولى قضاء مدينة الصويرة مدة، دفن بفاس في رأس القلعة، أنظر: "إتحاف المطالع": 301/1- كناشة المراثي، ص:66.

28 – محمد الهواري (ت 1372هـ/ 1953م)، من أدباء عصره الذين تصدروا للتحرير باللغتين العربية والفرنسية، من إنتاجاته الأدبية؛ رحلته الشهيرة: "دليل الحاج والسياحة"، ومن تحريراته القيمة: "المستدركات السنية في تعلم اللغة الفرنسية" في جزئين.. أنظر بشأنه: "التأليف ونهضته بالمغرب في القرن العشرين" لعبد الله الجراري، ص:61- "كناشة المراثي"، ص:66.

29 – نفسه، ص:66- جريدة السعادة 24 ربيع النبوي/ أكتوبر 1926م، العدد 3010، السنة:23.

30 – شاعر وأديب له ديوان "إزالة البوس عن الموثق المحبوس" والذي يدخل في أدب السجون، توفي سنة 1279هـ، أنظر حياته بتفصيل في مقدمة ديوانه المذكور، تحقيق: د. أحمد العراقي.

31 – الوزير المختار بن عبد الملك الجامعي، أديب فقيه... توفي سنة 1251هـ، أنظر: "الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى" لأحمد الناصري: 38/9، 45، "إتحاف المطالع": 162/1.

32 – ديوانه، ص: 26.

33 – أحمد بن قاسم جسوس، شاعر أديب، قال عنه عبد الله الجراري: "شاعر رقيق إذا نظم أبدع، وإذا نثر حلق وأقنع" توفي سنة 1912م، أنظر: "من أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين الرباط وسلا" لعبد الله الجراري، ص: 39 وما بعدها.

34 – المصدر السابق، ص: 42.

35 – أبو شعيب الدكالي (1856م/ 1937م)، المحدث الحافظ، من أولاد عمرو إحدى قبائل دكالة العربية. إمام في علوم القرآن وقراءاته وعلوم الحديث والسنة وفقه معاني الآثار، والخلاف العالي والنازل، أحرز على الرياسة العلمية في الدروس السلطانية أيام المولى عبد الحفيظ وصنوه المولى يوسف والعاهل محمد الخامس...، أنظر: "العز والصولة في معالم نظم الدولة" لعبد الرحمن ابن زيدان: 53/2- "سل النصال للنضال بالأشياخ وأهل الكمال" لعبد السلام ابن سودة: 82- "من أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين: الرباط وسلا" لعبد الله الجراري: 269/2.

36 – محمد البلغيثي الحسني، (ت1335هـ)، شيخ علامة مشارك، اشتغل بالعلم والعبادة والتهجد، كان ملازما لضريح المولى إدريس...، أنظر: "سل النصال للنضال بالأشياخ وأهل الكمال"، ص:14- "كناشة المراثي"ص،:169.

37 – "من أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين..."، ص: 273- 274- "كناشة المراثي": 168.

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
البريد الالكتروني:
abdlbastejlili@gmail.com

38 – محمد بن المفضل غريط: (1364هـ/1945م)، فقيه عالم، أديب شاعر من مواليد مدينة فاس، وصاحب المؤلف القيم: "فواصل الجمان في وزراء وكتاب الزمان"، عين مستشارا لخليفة .السلطان مولاي عرفة، ثم وزيرا للسلطان مولاي علي...، أنظر: "الأدب العربي في المغرب الأقصى" لمحمد بن العباس القباج: 1/2- 3، "الشعر المغربي: مقاربة تاريخية"، أديب السلاوي، ص:196- كناشة المراثي: 31.

39 – محمد المحب الإسماعيلي: (ت1323هـ) شاعر أديب، وفقيه كاتب، ولي الكتابة مدة في العهدين العزيزي والحفيظي...، أنظر: "أحاديث عن الأدب المغربي الحديث"، عبد الله كنون، ص:30- - "الأعلام" لخير الدين الزركلي: 7/4- "كناشة المراثي": 92.

40 – "إتحاف أعلام الناس بجمال حاضرة مكناس"، لعبد الرحمن ابن زيدان: 390- 391- كناشة المراثي: 92- "الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى": 949/3 .

41 – العربي السودي: (ولد سنة1309هـ)، علامة مشارك، أديب شاعر، أخذ عن والده، وعن الشيخ حماد الصنهاجي، والشيخ محمد الإيراري، والشيخ عبد السلام الهواري، والشيخ أحمد بن الخياط...، "إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع"، عبد السلام ابن سودة: 617/2- 618.

42 – كناشة المراثي، ص: 156.

43 – عبد المجيد الفاسي: (1930م- 1970م)، واحد من شعراء عصره، درس بالقرويين على نخبة من رجال العلم كمولاي عبد الله الفضيلي، ومولاي أحمد ابن الجيلالي، ووالده عبد الله الفاسي، وسواهم من العلماء، تولى مديرية المعهد الديني بطنجة في عهد الإستقلال، ثم مستشارا بالمجلس الأعلى بالرباط...، أنظر: "موسوعة أعلام المغرب"، لعبد السلام ابن سودة: 3425/9- "إسعاف الإخوان الراغبين بتراجم ثلة من علماء المغرب المعاصرين"، تقديم؛ العلامة عبد الله كنون: 409- من أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين: 353/2- 354- مقدمة ديوان عبد المجيد الفاسي، تحقيق: سعيد الفاضلي، تقديم: عباس الفاسي، مطبعة المعارف الجديدة- الرباط، الطبعة الأولى، 1997م- "الشعر الوطني المغربي في عهد الحماية؛ 1912م_ 1956م": 254- 255- "كناشة المراثي": 139 .

44 – ديوان عبد المجيد الفاسي، ص: 394- جريدة السعادة، الخميس14 محرم 1349هـ/يونيو 1930م- العدد: 3551، السنة: 27 .

45 – المصدر نفسه، ص: 391.

46 – "ديوان شاعر الحمراء"، لمحمد بن ابراهيم المراكشي؛ ص: 129- 130.

47 – أديب لبناني توفي بباريس سنة 1984م. أنظر: "الشعر المغربي، مقاربة تاريخية (1830م- 1960م)"، ص: 148.

48 – نفسه.

49 – نفسه، ص: 148- 149.

50 – جريدة السعادة، 4 يناير 1930م /شعبان 1348ه – العدد 3487، السنة 26- "كناشة المراثي": 120.

51 – أنظر: "إتحاف أعلام الناس"، ص: 382.

52 – "كناشة المراثي"، ،ص: 155.

53 – أنظر كتاب "صنوان وغير صنوان وأشعار أخرى"، عبد الله كنون، ص: 105- 106.

54 – "شعر الرثاء في العصر الجاهلي، دراسة فنية"؛ ص: 164.

55 – جريدة السعادة؛ الثلاثاء 20 ربيع النبوي 1345ه/ سبتمبر 1926م- العدد 3008- السنة 23- "كناشة المراثي": 56.

56 – محمد بن عبد القادر ابن سودة: (1261هـ/1338هـ)، العلامة المشارك، المدرس المطلع، كان قد تولى قضاء طنجة مدة، ثم قضاء فاس الجديد، دفن داخل روضة الشيخ ابن عباد قرب باب الفتوح....أنظر ترجمته في: "إتحاف المطالع": 425/2- "كناشة المراثي": 53.

57 – أحمد بن الطالب ابن سودة، :(ت 1321هـ/1919م)، من رجال الثقافة المشاركين، والمدرسين المعروفين بالإجادة والتحقيق...له حاشية على صحيح البخاري في مجلدين. دفن بزاوية الشرادي قبالة درب الدرج. أنظر: "التأليف ونهضته بالمغرب في القرن العشرين"، ص: 38.

58 – كناشة المراثي: 53.

59 – ديوان شاعر الحمراء، ص: 130.

60 – نفسه

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507
البريد الالكتروني:
abdlbastejlili@gmail.com

61 – "الشعر الدلائي"، لعبد الجواد السقاط؛ ص: 145.

62 – "الشعر المغربي؛ مقاربة تاريخية"، ص: 98.

63 – "العمدة": 154/2.

64 – "ديوان شاعر الحمراء"، ص: 229 وما بعدها.

65 – نفسه.

66 – هو أخ الشاعر عبد المجيد الذي وافته المنية إثر حادثة سير بالرباط.

67 – ديوان عبد المجيد الفاسي، ص: 428 وما بعدها.

68 – كناشة المراثي: 154.

69 – نفسه .

70 – العمدة: 79/1.

71 – "الأدب العربي في المغرب الأقصى": 42/1- 43.

72 – أنظر جريدة السعادة، الثلاثاء 4 جمادى الثانية 1346هـ/29 نونبر 1927م، عدد 3176- السنة 24- كناشة المراثي: 105.

73 – "الجيش العرمرم الخماسي"، ص: 332.

74 – محمد البيضاوي الشنجيطي: (ت1365هـ)، علامة مطلع، شاعر مكثر، درس في عدد من الثانويات، وتولى القضاء في عدة مدن، إلى أن تولى باشوية تيزنيت...أنظر: "إتحاف المطالع": 507/2- مقدمة "ديوان البيضاوي الشنجيطي"، جمع وتحقيق: محمد الظريف، مطبعة بني يزناسن، سلا (بدون تاريخ الطبع)- كناشة المراثي: 128.

75 – جريدة السعادة، الثلاثاء 18 جمادى الثانية 1346هـ/13 دجنبر 1927م، العدد3182، السنة24- كناشة المراثي177.

76 – أنظر ديوان العلامة الأديب محمد البيضاوي الشنجيطي"، ص: 90 وما بعدها.

77 – العمدة، ص: 2/150.

78 – ديوان محمد البيضاوي الشنجيطي، ص: 91 وما بعدها.

79 – نفسه.

80 – المفضل أفيلال بن محمد بن الهاشمي أفيلال التطواني من كبار شعراء الوطنية ولد بمدينة تطوان وبها توفي سنة 1304هـ- 1886م.
أنظر: "مظاهر يقظة المغرب الحديث" لمحمد المنوني: 287/1.

81 – "الاستقصا": 217/4- 218، "مظاهر يقظة المغرب الحديث" 287/1.

82 – نفسه .

83 – المصدر السابق.

84 – نفسه .

85 – نفسه .

86 – قاضي طنجة محمد بن عبد القادر الكردودي الفاسي، صاحب: "كشف الغمة ببيان حرب النظام حق على هذه الأمة". توفي سنة 1268هـ/1851م. أنظر: "مظاهر يقظة المغرب الحديث": 1/13.

87 – المصدر السابق: 25/1- 26.

88 – "مظاهر يقظة المغرب الحديث": 24/1- 25.

89 – المصدر السابق.

90 – نفسه .

91 – من شعراء سوس وأدبائها الكبار.

92 – عنوان المقال "عصر النهضة في بلاد المغرب" محمد حجي، مجلة الثقافة المغربية (4)، المملكة المغربية، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، صفر 1391 أبريل 1971، ص: 125.

93 – نفسه، ص:129.

94 – نفسه .

95 – أديب سوس وعالمها، ولد أواخر سنة 1319هـ بإلغ، تلقى القرآن ودروس اللغة العربية في قريته على يد الأستاذ عبد الله بن محمد، ثم عن الشاعر الطاهر البكري، لينتقل بعدها إلى أحواز مراكش فيأخذ عن بعض علمائها أمثال مولاي عبد القادر بن العربي، وقاضي الحمراء محمد بن الحسن، وبعدها ينتقل إلى فاس ثم الرباط ليلازم دروس المحدث الكبير شيخ الإسلام أبي شعيب الدكالي، ودروس العلامة مولاى المدني بن الحسني.
أنظر: "الأدب العربي في المغرب الأقصى":165/2- 166.

96 – المقال السابق، ص:129.

97 – "ذاكرة المكان وتجلياتها في الشعر الفلسطيني المعاصر"، دراسة لإبراهيم نمر موسى، نشرت بمجلة عالم الفكر- العدد 4، المجلد 35، أبريل- يونيو 2007، ص:65.

98 – نفسه 1/21.

99 – نفسه :21/1.

100 – نفسه

101 – نفسه : 1/22.

102 – "الشعر المغربي مقاربة تاريخية"، ص 78 – "مظاهر يقضة المغرب الحديث": 23- 1/22.

103 – الشعر المغربي مقاربة تاريخية"، "ص:78 – "مظاهر يقضة المغرب الحديث":23- 1/22.

104 – "الإستقصا":196/1- "مظاهر يقظة المغرب الحديث": 1/20.

105 – "الشعر المغربي مقاربة تاريخية" ص: 141.

106 – المصدر السابق، ص: 140.